نبيل مواجي

نزيف

على أكتاف ناعمة

رواية

فهرنهايت 451
للنشر والترجمة

نبيل مواجي

نزيف على أكتاف ناعمة

رواية

نبيل مواجي

نزيف على أكتاف ناعمة (رواية)

ردمك:4-66-288-9931-978

الإيداع القانوني: جوان 2023

الناشر: فهرنهايت 451 للنشر والتوزيع

إيميل edition.fahrenheit451@gmail.com

العنوان: وسط مدينة الجلفة

جميع الحقوق محفوظة©

لا يسمح بنسخ أ واستعمال أو إعادة إصدار أي جزء من هذا الكتاب سواء ورقيا أو إلكترونيا أو أية وسائط أخرى، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي من الناشر.

تستثنى منه الاقتباسات القصيرة المستخدمة في عرض الكتاب

المدينة تخاف ظلها

سحب عابرة تزداد سوادا، تحمل في جوفها امتدادات واهنة لأشخاص رفضوا التخلي عن ذلك الكرسي الحديدي، امتدادات رُسّخت في العقول فاختلفت الزوايا، وكثُرت النقاط والفواصل، وأُلغيت علامات الاستفهام كما لو أن الوضع لا يعنيهم، أو يخدم مسارهم المغلق في وجه الصامدين، كل الهوس لزعامة تتخللها نظرات بائسة، ووجهات النّظر المتفردة التي تئن تحت طمع المواصلة تُزيّن نواياهم بعمق الأحداث، وازدراء شبه متقن يُحبك بأنامل المحيطين، صداع فصراع، ثم تعديل ناهيك عن ذاك الصراخ الذي يعانق في كيانه نهايات غامضة.

من قلب مدينة تتألم لوجع استقر بها، وتستحي من وجوه العابرين منها، جفّت في أعين الناظرين مساحات الوغى، ونزفت من شريان الحرية دما أخضرا، استقر التشتت ببابها يبحث عن آخر مفتاح لها، ترتمي في احضانها العشر العجاف، فيتمزق القلب من حين لآخر، تضحك الأفواه ببرودة وتتوزع الكلمات على الأسطر، تداعب مشاعر الحالمين والرغبة تقتلهم في فض هذا الصراع.

أين المفتاح؟

أين المفتاح؟

كلمة يرددها العم فرحات في بيته كل صباح كأنه يقصد شيئا آخر، هل كان مفتاح بابه أم مفتاح الحرية الذي يختبئ في مكان ما؟ يرتسم اليأس على وجهه وهو شارد الذهن، يستحضر آهات وصراخ الأيادي مغلغلة، ولحظات الأنفاس الأخيرة المدججة برغبة الوداع، يعود بعدها لينظف رفوف تزاحم الغبار عليها، كما استحوذ على تقاسيم المدينة ذاك الصراع، الذي يجر الجميع نحو سؤال محدد:

من يجلس على الكرسي الحديدي؟ ومن هو القادر على إعادة الأمن والاستقرار لمدينة تمزقت أوردتها، وفاضت عيناها دما؟

وفي عجالة من أمره ورعشة تتخبط بيده تسقط بعض الصور، تفوح منها لغة العنف المتواصل، يجمعها في خوف داخلي ليعيدها إلى مكانها.

منتصب القامة يقف شامخا، محدقا في اللوحات منتشرة على الجدران والمقالات الطويلة يكاد يندثر بريقها، بعضها كتب بلغة مفهومة وأخرى بلغة تحفر في المدينة مكانا لها غير مكانها، فتتوقف عيناه على الجريدة الصفراء اللون تحتضن مقالا مطولا، يباغته الزمن ساعة وهو يعيد قراءته مرارا وتكرارا. فجأة يُطرق الباب فيهرع إليه مسرعا، استطاع أن يفتحه لأنه لم يكن مغلقا بالمفتاح، يبتسم الشيخ محمد ماسحا على لحيته الطويلة من شدة التعب، منتظرا أن يرحب به العم فرحات قائلا:

ألا تدعوني للدخول؟ أراك مندهشا لأمري كأنك رأيت شخصا غريبا، أو أنك لم تعجبك فكرة حضوري إليك من دون اتصال مسبق؟

يتلعثم العم فرحات وفي جعبته الكثير من الكلام:

ع ع ع، عذرا، أعد، أعد ماذا قلت؟ بئسا لما يتفوه به لسانك، تفضل.

يجلسان إلى طاولة واحدة، وكلاهما ينتظران من يبادر للكلام، فالعم فرحات يركب جملا في مخيلته، محدثا نفسه ما سبب مجيء هذا الشخص في مثل هذا الوقت؟ والآخر يجيب عن تساؤلاته كأنه يعرف إجابة العم فرحات.

حسنا يا فرحات، لا اطيل عليك كثيرا، ربما قاطعت انشغالك.

نحن في بداية الطريق، سأصغي إلى كل من أراد أن أخدمه فهذا هو مسعانا الأول والأخير.

أتعلم؟ هذه المدينة تحتاج لمن يخدمها بصدق، فمواطنوها يطمحون إلى حياة أفضل حتى ينسوا ما عاشوه قبل هذه السنوات، وإني جئتك بمطلب واحد فقط؟

يقاطعه في تعجب:

مطلب، وأي مطلب تطلبه في مثل هذا الوقت الحساس وأنت تعلم ما نمر به.

أعلم ذلك فلا تقلق، وأعلم أنه لم يبق إلا شهر واحد للإعلان من هو الفائز بالكرسي الحديدي، ومن سيقوم بخدمة مدينتنا، ومطلبي هذا ليس إجباريا فلك الحرية في ذلك، ولكن أتمنى أن توافق عليه.

يقف العم فرحات من مكانه، ويستدير نحو الحائط مقابلا تلك الصورة المعلقة عليه قائلا:

أكمل فأنا أصغي إليك.

ما تقوله صواب، فنحن نعلم ما نمر به وما قد مر علينا في السنوات الماضية، أتمنى أن نجدد الثقة بيننا،....

يقاطعه العم فرحات في استغراب قائلا:

الثقة، وأي ثقة تتحدث عنها؟

عفوا، إني أراك متسرعا قليلا أو أنك لم تفهم قصدي.

يتنهد العم فرحات وقد سطرت شفتاه إجابة نهائية، ثم يطأطأ رأسه وفي جرأة قوية يرد عليه:

بلى، لقد فهمت قصدك، أنا لا أحتاج دعم أي شخص مهما كانت قيمته، وهنا ينتهي كل شيء دار بيننا فلا حاجة لي أن أكون في صفك أو ندا لك.

يحدق الشيخ محمد فيه مطولا ثم يرد:

جميل، يا لك من شخص عظيم، لك ما تريد. ويهم بالخروج في غضب من دون استئذان.

مغادرة الشيخ محمد بتلك الطريقة جعلت العم فرحات يحاور نفسه قائلاً:

سأستمر مهما كانت الظروف، فلا غاية لنا إلا هذه الغاية التي نسعى من أجلها، وحدة المدينة والمفتاح الذي نبحث عنه. ثم يواصل كلامه بكل حماسة:

يا ترى هل أستطيع تخطي كل هذه العراقيل؟

بلى سأستطيع، سأظهر للجميع حنكتي وسياستي وما أنا قادر على تقديمة في هذه الأوقات العصيبة، ولن أكتفي بالجلوس مشاهدا ما يحدث هنا وهناك.

في كل خطوة يخطوها الشيخ محمد مبتعدا، تسقط بين الدقائق المتبقية إجابات وتساؤلات إلى حين وصوله إلى مكتبه، فيسوّد وجهه غيظا في أمسية تودع ضوئها وتحتل خيوط الظّلام كل الشوارع، ويزداد الطريق وحشة للصمت الذي يداعبه، يهمّ بإخراج مفتاح باب مكتبه فيفاجئه رضوان مبتسما، ويضفي عليه لون آخر يمتزج بالفزع الذي أحدثه، يتنهد الشيخ محمد وبنبرة خافتة يخاطبه:

ما الذي جاء بك إلى هنا؟

يرد عليه بسؤال وابتسامة:

مرحبا شيخنا كيف حالك؟

ينظر إليه كأنه يريد إخفاء ذلك الغيظ المسيطر عليه:

بخير الحمد لله، سألتك ما الذي جاء بك إلى هنا؟

ليس باستطاعتي شرح ما ارغب فيه، ليتنا دخلنا في هدوء وتحدثنا.

تختلط عليه تلك المفاتيح التي تجتمع في رزمة واحدة، ومع حلكة الظلام يستمر في البحث عن المفتاح حتى عثر عليه، فكان الاثنان ينصتان للفوضى ويجمعان قواهما للحديث.

يصمت رضوان مطولا وهو يحرك رأسه يمينا وشمالا كمن يبحث عن مخرج، ثم يتبع الشيخ إلى الداخل متناسيا ذلك السؤال المتكرر، ومنتظرا الجزء الآخر ربما سيكون الأحسن، فيما تبقى أمال الشيخ محمد معلقة على إجابة مقنعة، تراه يعيد السؤال مرارا وتكرارا من دون ملل.

ما لذي جاء بك إلى هنا تكلم يا رضوان.

حسنا، لا تقلق ما في جعبتي إلا قليل ومختصر.

مثلا؟ أكمل يا هذا. بلى توقف شعور ما يراودني عن سبب مجيئك.

تتسع حدقة عين رضوان ثم يسأله؟

شعور ما؟ ليت شعورك يكون في محله، هات ما عندك.

هل تريدني أن أكون في صفك؟! فهذا الأمر مبالغ فيه لكن ليس لدينا خيارات كثيرة بعد أن قرر العم فرحات مواصلة النضال لوحدة.

ماذا؟

نعم، قابلته في بيته منذ ساعات وناقشنا هذا الأمر، فما كان منه إلا الرفض، لقد أبان عن إصرار توهج في وجهه مستعدا للتضحية.

وما قولك أنت فيما تراه صائبا؟

كن مستعدا، إن حدث وازداد الأمر سوءا، لن تفلت الأمور من أيدينا حتى وإن اضطررنا لاستعمال العنف ضده، سنعطي كل ذا قيمة قيمته.

أعذرني يجب أن أغادر فرجالي بانتظاري خارجا.

كيف ذلك؟ ظننتك جئت وحدك.

نعم لقد جئت وحدي، إن رجالي يتبعونني عن بعد حتى لا نلفت انتباه الآخرين.

سأحتاجك يوما ما فلا تخيب ظني فيك.

يلبس العم فرحات عباءته البيضاء والشاش المزركش بالألوان، ثم يتجه إلى عمله، ليحضر اللقاء الأول مع بعض المناصرين لجمع الأصوات، لم يكن يتوقع أن يتغير كل شيء وتتطاول عليه الأسماء الأخرى، من حين لآخر يفاجئه أشخاص مشبوهين أو متعصبين بالتهديدات والتنديد لما يقوم به، كانت جل التهديدات بأن يترك عمله ويغادر المدينة من دون رجعة.

بعد أن غادر المناصرون وساد الصمت قليلا، يقاطعه على حين غرة بعض الرجال يتوسطهم السيد رضوان، قبل أن يقدم نفسه يطلب العم فرحات منهم الجلوس، كأنه يدرك ما في جعبتهم:

تفضلوا وأفصحوا عما جئتم إليه.

لا حاجة لنا بالجلوس، تبدو واثقا من نفسك يا الشيخ فرحات فلا خوف يعتريك، ثم يضرب بكلتا يديه على سطح المكتب ليزيد من الأمر سوءا.

هون عليك، أنت السيد رضوان أليس كذلك؟

بالطبع إنه هو، لكن ليس لهذا الأمر نحن هنا "من اجل التعارف".

وبغيظ شديد تشتد لهجته قائلا:

سنتكلم للمرة الأخيرة وجها لوجه، انسحب حالا من القائمة أو تكون من بين الأموات.

يتبسم العم فرحات من هذه الكلمات، وفي هدوء يقدم نصيحة جليلة:

يا سيد رضوان لك مني نصيحة، انطلق أنت ورجالك إلى حيث أنتم ذاهبون، فقد أخطأت بالمجيء إلى هذا المكان، كل واحد يحمل نواياه بداخله ليس من الضروري أن تعرفها.

تلك النوايا تتغير حسب مصالحكم، أليس كذلك؟ فمنذ متى كان أحدكم يعيش ما نعيشه نحن، أو يشفق على حالنا حتى صرنا ما علية؟

بالله عليك يا رضوان ليس الأمور كما تتصورها، أنظر من الناحية الايجابية، وسترى الفرق بيني وبينك واضح كوضوح الشمس.

أي فرق تتحدث عنه، أليس أنتم من وسّعتم الهوة بيننا وبينكم.

ربما لم يحن الوقت لكي تذرك ما نطمح إليه، أو أنكم مصممون على الغوص في أعماق الفوضى التي تبحثون عنها، إياك والغرور إنه يقتل صاحبه، يوم لنا ويوم علينا.

يتنهد رضوان دون الإقدام على شيء، وفي جوفه تشتعل نار الغضب والقسوة الآتية ثم يغادر برفقة رجاله.

يستمر العم فرحات في تقوية مصالحه وجذب مؤيديه، ونشر مبادئه في كل بيت وعند كل شارع، فترى الألسنة تتجاذب أطراف الكلام ويستحسن ما يطمح إليه، فتزداد شوكته بالغوص أكثر فأكثر إلى حين وصول اليوم الموعود، تتطاير الأنظار صوبه وتحز في قلوب بعضهم الغيرة، ولم تهدئ لهم النفوس فبادروا إلى إنشاء تكتلات تسعى إلى القضاء على مبادئه، لتطفو إلى السطح أسماء جديدة تتغنى بالوطنية وتتنافس على ذاك الكرسي الحديدي، لم تكن مجرد تكتلات بل تضم إليها أشخاصا مهوسين سياسيا، لا أحد يحدوا حدوتهم إلا على وقع جريمة أو بصمة عار تطالهم أينها حلّوا، تستمر الصراعات بين هاته الأسماء فأنشأ العم فرحات فروع في بعض

النواحي التي تكتظ بالناس، وأطلق عليها ما يطلق على أي حزب أو تكتل سياسي، فضم إليه أسماء جديدة وتحدى قمة الصراع ولم يتخلى يوما عن تلك العباءة البيضاء. التحق به شاب في الثلاثينيات من العمر يدعى حسين، كان قوي البنية ذو نبرة ملفتة للنظر متحمس وطموح، وكان لديه ابن من زوجته الثانية يدعى رابح، فقد وافق على هذا العمل من أجل سد بعض الحاجيات اليومية لابنه، أعجب به العم فرحات وبجديته في العمل.

تفضل يا حسين هذه نسخة من مفاتيح المكتب، قد تراني أحيانا التحق متأخرا، لهذا هناك بعض الملفات قم بترتيبها، وأخبرني عند الانتهاء بأهم الأسماء المسجلة في القوائم النهائية. آه نسيت كيف حال عائلتك وابنك؟

بخير، شكرا لك على السؤال.

أنصت إلى جيدا واحفظ ما سأقوله لك، إن الألعاب كلها قذرة، لا تحتاج إلا لأشخاص قذرين مثل "رضوان"، فجشع المعارضين وسع عليه الطريق الوسخة.

رضوان، من هذا الشخص؟

لا عليك، دعنا منه ولكن ما سأقوله له قيمة في عملنا نحن الشرفاء، من المستحيل أن نتخلى على مبادئنا وإن ساوموني مقابل حياتنا،

لم أفهم قصدك؟

قصدي هو يجب أن تتحمل جزء كبير من المسؤولية تجاه هذه المدينة، وتضع صوب عينيك مبادئنا التي ندافع بها لأجل الحرية.

يطأطئ حسين برأسه قائلا:

لا تقلق، فأنا مستعد لذلك، لكن ما يشغل بالي الآن من هو رضوان؟

يضحك العم فرحات:

هو شخص ضعيف في علاقاته السطحية، قوي بسلاحه فقط ومع رجاله يكون أقوى، فلا تنظر إليه من زاوية أنه عدونا.

يتفقد العم فرحات بعض أوراقه لكنه لم يجدها، جلس يتذكر أين وضعها ربما ضاعت منه، فيقرر العودة إلى المنزل بحثا عنها، يسأله حسين:

مابك يا عم؟

لا شيء، لا شيء إني أريد أن اتذكر أين وضعت أوراقي ربما أضعتها، سأذهب إلى المنزل أريد منك مرافقتي.

أنا، يختلط بالدهشة والحماس في نفس الوقت.

يركبان السيارة والصمت يعانق حسين إلى أن وصلا إلى منزله، في الشارع الأخير قرب المقبرة التي تشهد على ضحاياها يوما بعد يوم. يزيح العم فرحات هذا الصمت قائلا:

أتعلم، في بداية عملي لم يكن الأمر سهل، ومع مرور الوقت تعودت على المضايقات التي تجعلك تنسحب من المحيط.

يستدير حسين إليه ثم يراقب الساعة ويرد:

استغرقنا الكثير من الوقت، أين منزلك؟

بهدوء يا حسين، حين تتعود على المحيط المليء بالتعقيدات لا تفكر أبدا في الوقت. هذا هو منزلي يا بني، منزل صغير كان لأبي المناضل من أجل الحرية.

أحقا، كان أبوك مناضل هو أيضا.

نعم نحن نسير على عهد أباءنا وأجدادنا، انتظر سأحضر الاوراق.

تمر ساعات قليلة ليعودا إلى المكتب، ويتناقشان طريقة بدأ العمل الجديد.

يقترب يوم الحسم وإعلان نتائج الصراع، من سيجلس على ذاك الكرسي في المدينة، ترتقب الأعين في كل دقيقة وتنصت الآذان لما سيقوله الممثل الرئيسي، في هذا الوقت تنتشر أخبار عن انفجارات بالقرب من محطة الوقود لم يعرف أحد سبب ذلك. حينها اتهم العم فرحات بالتسبب في إحداث الضجة ونشر الكراهية في قلوب الناس، وبدأت العناوين بالظهور تواليا من دون توقف، كان القصد من ذلك تشويه صمعته وتشتيت تركيزه حول مبادئه، أو الخروج من دائرة الصراع نهائيا، لم يأبه العم فرحات بذلك فقامت الشرطة باستدعائه مرارا وتكرارا من دون جدوى، كما وضعت اسمه على لائحة المتهمين.

توقف الشاب حسين متنهدا لما يقرأه في الجريدة اليومية، وتعابير الأسى تغمر وجهه في حين غاب العم فرحات لعدة أيام، تتلاطم على لسانه أسئلة كثيرة ومن دون جواب واضح، بعد لحظات يرن الهاتف من دون انقطاع يستدعي الرد بسرعة.

ألو من معي؟

يكلمه بنبرة قوية:

لا تنتظر مني أن أقول لك ما اسمي، اسمع جيدا ما سأقوله، دعك من هذا العمل وتعال معنا، ربما لا تعرف قصة هؤلاء السياسيين وطموحاتهم، إننا لا تساوي جناح بعوضة في نظرهم.

لم يفهم ما يقصده هذا المتصل وعن أي عمل يتكلم؟

عذرا، ربما أخطأت في الرقم.

فيعلو صوته وفي جلبة يواصل كلامه:

أياك أن تستمر في إغضابي، فأنا ليس بحاجة إلى من يرفض طلبي.

عفوا، لماذا أقبل طلبك أو أرفضه، وأنا لا أعرف من تكون، لقد أطلت الكلام لا تتصل مرة ثانية وإلا أبلغت الشرطة عن ذلك.

حسنا قلت لك تعال معنا وستعرف المزيد عن خبايا هؤلاء الذين يتبرأون مما يلاحقهم من فساد.

يضحك باستهزاء وفي ثقة كبيرة يرد:

ومن قال لك إنني متلهف لما تعرضه علي، بل أنت مخطأ يا هذا وأغلق الخط.

يرن الهاتف مرة أخرى ولمدة طويلة، فلم يكن بحاجة للرد مطلاقا.

وبعد مدة من الزمن يرن الهاتف مرة أخرى فاضطر إلى الرد عليه:

ألو، ما لأمر ليس من اللباقة التكلم بهذه الطريقة؟

يقاطعه العم فرحات: كيف حالك يا حسين، نبرة صوتك مرتفعة هل من شيء يزعجك؟

عذرا، عذرا لقد أزعجني متصل منذ قليل ولم أفهم عما يتحدث.

يا ابني حسين لا تدخل في جدال مع أشخاص أنت في غنى عنهم، ربما تلك العصابات التي لا تنام، همها إزعاج الغير ورغبتها في السيطرة على حريات الكل فاحذر منها. سأعود بعد أيام فقط وأنا آسف لم أخبرك بغيابي.

لا عليك العم فرحات كل شيء سيكون بخير.

أغلق الخط.

يسحب حسين الكرسي إلى الخلف ويسقط جالسا، مصفرا كورقة في فصل الخريف، وقد تجمعت على شفاهه ألوان تتغير مع شدة نبضات القلب، ثم أخذ يهدأ من روعته بقلب صفحات الجريدة مرة أخرى، تضطرب العناوين

أمام عينيه وكلها تبدو متشابهة من حيث المضمون، تفوح منها أخبار سياسية والصراع الدائم، يتوقف قليلا عند أحد العناوين الغريبة نوعا ما " المعارضون يشعلون جبهات ساخنة"، تتراقص عيناه بحثا عن أسماء المعارضين، ليجد من بينهم الشيخ محمد، وجماعة رضوان.

الشيخ محمد؟ من هذا يا ترى؟ المعارضين كثر لا يسعهم إلا إشعال نار الفتنة في هذه الأوقات التي تتطلب منا الاتحاد جميعا.

لم تنتهي تلك الأحاديث الداخلية المنصهرة في نطاقها الغامض، بين صوت المتصل ونغمته الغليظة، وبين مبتغاه المدجج بالعبارات القاسية، يتمتم مرتجلا أمام مكتبه ومتعجبا:

يا ترى، من يكون هذا المتصل هل هناك علاقة تربطه بالعم فرحات؟

ثم يخفي هذه الجلبة خلف الساعة المنتصبة كالتمثال، فيلاحظ أن الوقت يمر بسرعة غير مبال لما يحدث في هذا المكان:

لقد مر الوقت بسرعة، يجب ترتيب هذا المكتب، يا لها من جرائد ثملة تزاحمني.

تعود إلى الواجهة تلك الاتهامات التي تحيط بالعم فرحات، ولم يبقى له سوى المرافعة لأجل قضية عادلة أمام مناصرين ومؤيدي أفكاره. تم استدعاءه ابتداء من الساعة الحادية عشر صباحا، ولم تنتهي المرافعة إلا بعد العصر بقليل ليخرج ببراءة تامة. وينطق القاضي قائلا:

كل الدلائل غير كافية، أنت بريء، هل لديك ما تقوله.

لا سيدي، عدالتكم فوق الجميع.

يهتف كل من كان في القاعة باسمة وأثناء خروجه نحو ممر الراجلين المقابل لمكان توقف الحافلات، يتريث قليلا وكأنه لاحظ أفراد جماعة رضوان تراقبه عن كثب، فأسرع في الخطوات دون أن يلتفت يمينا أو يسارا إلى أن اختفى عن أنظارهم، واصلت الجماعة في البحث عنه بين الشوارع لكن دون جدوى، فاتصلوا برضوان:

من المؤسف أننا لم نتمكن منه، كان ذكيا فقد اختفى فجأة.

كيف كان الحكم؟

لقد خرج ببراءة تامة لا دليل يدينه كما قال القاضي.

حسنا، لا تقلقوا سنعمل على الإطاحة به عاجلا أم آجلا.

يواصل الشاب حسين عمله وكأن شيء ما يختلجه خوفا على ابنه، يقطع تلك المسافة مشيا على الأقدام ليصل إلى منزله، والوضع لا يبعث على الراحة والطمأنينة، أحيانا تحدث مشادة بين جماعتين من دون تدخل أي أحد خوفا على حياته، وأحيانا أخرى يسمع طلقات الرصاص تجوب الشوارع، كل ما يمكنه فعله هو المحافظة على حياة ابنه وعائلته فقد يتغيب لهذا السبب.

في أحد الأيام تنزل دورية شرطة بزيها الرسمي، تجوب الشوارع لتقفي أثر العصابات المنتشرة هنا وهناك، ليحدث ما لا يحمد عقباه، انطلاق شرارة المعركة بين الشرطة وجماعة رضوان المسيطرة في ذاك الشارع الجنوبي، ولم تتوقف إلا بعد انسحاب الشرطة وإصابة بعض رجالها، والقبض على بعض الشباب ظنا منهم انهم أحد أفراد الجماعة، كان ذاك الشاب يدعى عبد الله وكل من كان معه بزيهم الرياضي، مغادرا نحو منزله بعد انتهاء فترة التمارين الرياضية، ليجد نفسه مكبلا بأصداف وجالسا في سيارة الشرطة بالقرب من شباب أخرين.

بصراخ هستيري يردد نفس الكلمة:

أنا بريء، أنا بريء، أنا بريء

لا أحد يرد عليه إلا نظرات الشرطي الممسك به تنخر في عيون عبد الله بلا شفقة ولا رحمة، يضطرب كموجة عاتية يحاول أن يتخلص من الأصفاد ثم يهمس قائلا:

ليتني مت قبل هذا اليوم، فلا مكان هادئ يمكننا الاختباء فيه، كيف أخبر أختي بما يحدث؟

تتجه السيارة مباشرة نحو المخفر للتحقيق معهم وزج بهم في السجن إلى أن تتم محاكمتهم. يسدل الليل ستاره مبكرا ويهرع الكل نحو منزله، هدوء يعم المدينة، يمكث عبد الله الليلة الثانية بعد التهمة الموجهة إليه وهي تزويد الجماعة بالأسلحة والمعدات، فكانت التهمة خطيرة جدا.

بعد منتصف الليل تمكن الشباب الهاربين من الشرطة العودة إلى عائلاتهم، وقد مر على اعتقال الآخرين ثلاثة أيام، تترقب زينب كل يوم عودة أخيها الذي لم يصلها أي خبر عنه، ومن شدة التوتر بدأت في الرواح والمجيء تتبعها بكلمات غير مفهومة، إلى أن سمعت طرقا خفيفا على الباب، فأسرعت نحوه لفتحه.

عذرا، أنا الزبير صديق عبد الله.

هدأ من روعك، إنك تتصبب عرقا، ما الأمر؟

إن في الأمر سوء، لقد وقعنا ضحية اشتباك مع الشرطة وجماعة رضوان،

تسأله في دهشة:

وهل هناك من أمسكوا بهم؟ أخبرني بسرعة.

لقد تم القبض على عبد الله.

أخي، كيف تم ذلك؟ لماذا لم يهرب؟، كان قادرا أن ينجو بنفسه.

تتسمر في مكانها لبضع دقائق كأنها غائبة عن الوعي، ويستطرد الزبير قائلا:

إن الوضع خطير جدا، لا يمكنني البقاء أكثر انتبهي لنفسك.

تناديه وهو يبتعد:

انتظر، أخبرني إلى أين أخذوه ربما هناك حل؟

تحاول فهم ما يحدث؟ و لماذا؟، غادرها النعاس و الفزع يسكنها، بل قلق كبير يحتويها خوفا على أخيها، راحت مباشرة تبحث عن بعض أرقام هواتف

الصحفيين، لتجد في النهاية رقم هاتف الصحفية فاطمة كان مكتوب خلف الكتاب، إنه أمر لابد منه لنشر أخبار الظلم والتخويف الذي طال الشباب بغير وجه حق، تتلقى فاطمة الأخبار التي تنتشر في مختلف صفحات الجرائد، تقلبها كل صباح في مكتبها وتتمعن في كل جديد، على يمينها تجتمع عناوين أخرى. وكل يوم تقرأها من دون ملل. تسطر ما تحتاجه في مسودات كي لا تغيب عن ذاكرتها، تبدوا كقضايا غامضة أو مهام منفذة من طرف أشخاص، أو مرافعات ظالمة لأبرياء، تقف من مكانها وتتجه نحو قائمة معلقة لتنظر فيما ستنجزه اليوم.

يرن الهاتف: ألو مرحبا من معي؟

مرحبا أنا زينب.

معك الصحفية فاطمة. كيف أخدمك؟

تبكي بشدة:

إنه أخي لقد اعتقلته الشرطة.

لماذا؟ وكيف ذلك؟

لا أدري هذا ما أخبرني به صديقه، لقد اعتقلوه اثناء الاشتباك الذي حدث بين دورية الشرطة وإحدى الجماعات، ربما تكون جماعة رضوان.

ما دوري أنا كصحفية؟

ثم تغير الموضوع.

ما التهمة الموجهة إليه؟

لا أدرى، هذا فقط ا ما أخبرني به الزبير.

حسنا، غدا صباحا سأرى ماذا حصل، وأتصل بك.

آسفة على الإزعاج.

لا تقلقي هذا من واجبي.

تنظم فاطمة إلى صديقاتها في المكتب المجاور ليناقشوا بعض القضايا. ممكن استعمال الكمبيوتر؟

تفضلي.

البحث جار عن اشخاص اختطفوا، وأشخاص انظموا إلى جماعات. تظهر العديد من الأسماء مرتبة حسب تاريخ الوقائع. كلها لا ترتبط بمهمتها. تتمتم قائلة:

أشعر بتعب كبير، والوقت متأخر قليلا يجب العودة إلى المنزل. ثم تواصل البحث على الكمبيوتر وبين الجرائد المترامية بأخبارها.

تهب رياح قوية في يوم مغيم وعقارب الساعة لا تتوقف عن الدوران، فكلما تحركت ازداد توافد الحضور، يفتح البواب باب المحكمة في وقتها المعتاد، لينتشر الوافدون ويأخذ كل واحد مكانه، بعد لحظات يقف الجميع احتراما للقاضي. ثم يبدأ في قراءة الأحداث وينادي على المتهمين. الكل يرافع من أجل البراءة. ها هي زينب تلتحق متأخرة وتضطر للجلوس في الخلف. لكنها تكاد أن تسمع ما يقال هنا وهناك. فحاولت أن تجتاز بعض الحضور علها تفهم ما يدور من وقائع. حينها قابلها الشرطي وأمرها قائلا: اجلسي قليل من الهدوء داخل القاعة.

عفوا إني مهتمة وأود أن أفهم كيف تدور وقائع المحاكمة.

قلت لك اجلسي وإلا سأطردك خارجا.

تلتفت فاطمة وهي بصدد كتابة بعض المعلومات عن أطوار المرافعة.

ما أمر هذه السيدة؟

يطرق القاضي بمطرقته الخشبية ويصيح:

القليل من الهدوء رجاء.

تم يأمرهم باستراحة لدقيقتين، بعدها تهرع فاطمة نحو السيدة لتنظر في أمرها:

عفوا سيدتي. هل أنت من أهل المتهمين؟

لا لا. إنها قضية اخي لا أدرى كيف هي حالته، لم أره منذ ثلاثة أيام.

لا تقلقي سيكون كل شيء بخير، إن لم يتابع من قبل في أي قضية خطيرة.

اخي اعرفه، أبدا لم يتابع في أي قضية خطيرة.

إذن اجلسي إلى حين تنتهي الجلسة ولنا حديث.

يشدّ زينب اسم فاطمة وهو مدون على بطاقة تعريف تحملها على صدرها:

هل أنت فاطمة؟

نعم ومن تكوني انت؟

أنا زينب لقد اتصلت بك ليلة البارحة وهي أول مرة اتصل بصحفية، وأخبرتك بأن أخي اعتقلته الشرطة.

آه. حسنا تذكرت، أتعلمين نحن صحفيين لدينا قضايا كثيرة، ولهذا ننسى في بعض الأحيان.

تنقسم حيثيات كل مرافعة بين الهدوء وصراخ القاضي، وبين بكاء المتهمين ومحاولة إقناعه بتخفيف الحكم، وتتواصل إلى الساعات المتأخرة من اليوم، لتأمر النيابة العامة بتأجيل النطق بالحكم إلى إشعار آخر، تجمع فاطمة كل ما تحتاجه من معلومات لنشر مقالاتها.

تنطلق زينب في كل الاتجاهات بحثا عن مخرج لأخيها. وتفكيرها الذي يحوم حول تعيين محامي كان أكثر من اللازم. فأصبحت تتابع كل كبيرة وصغيرة. تنصت إلى الأخبار بالحرف الواحد، وما زاد من هلوستها حين ترى قضايا تفجيرات. ومطاردات في أماكن مختلفة. تمر الأيام وتجرى المرافعة لأخيها وينطق القاضي بحكم البراءة لعدم توفر أدلة كافية. تنشر الصحفية فاطمة عنوانها الكبير. الإفراج عن الشاب عبد الله بعد محاكمة طويلة. بعد صدور

خبر براءته ثم مداولته عبر جرائد يومية، ارتأت الصحفية فاطمة أن تكتب مقالا جديدا حول مخلفات الصراع بين جماعات انشأتها سياسة الوضع، وبين الشرطة التي لا تهتم بالظالم أو المظلوم، فقد تجرأت وبحثت عن أسماء الجماعات المنتشرة أهمها جماعة رضوان واتصلت مباشرة برئيس التحرير الذي رفض في المرة الأولى خوفا على حياته، لكن بعد تردد تم إقناعه بقبول المقال، فيصدر في اليوم الموالي، ويتصدر الصفحات الأولى لجرائد اليوم.

استقبل العم فرحات نسخة منها، وفي دقة متناهية يقرأ كل حرف كتب فيها، لا يترك عنوانا إلا وتمعن في محتواه، يستوقفه مقال يروي قضية الشاب عبد الله، نظرا للأحداث التي تقع كل يوم، يفهم جيدا أنه يحتاج القليل من الاصرار والعزيمة فقد تشبع تفكيره بهذا الاتجاه لأنه دائم الاطلاع على المستجدات، ويحب الغوص ومعرفة الأوضاع.

بدأ يبحث عن أعضاء التحرير فتستوقفه اسم كاتبة المقال السيدة فاطمة، أخذ رقم هاتفها مباشرة ولم ينتظر طويلا حتى اتصل بها.

مرحبا سيدتي، أنت كاتبة المقال الذي يتضمن مخلفات .....تقاطعه:

نعم أنا، من معي لم أعرفك.

أنا العم فرحات أحد السياسيين في المدينة، من بين المرشحين للفوز بالكرسي الحديدي.

تشرفنا وكيف أخدمك؟

ما في جعبتي إلا الكثير، فلا الوقت يسمح لي بالحديث في الهاتف، ولا المقال مرتب في شكله الأخير، حبذا لو تحضري في الساعة التي تناسبك إلى مكتب العم فرحات، هذا الاسم معروف عند كل من تسأله.

حسنا، قبل المجيء سأتصل لأحدد موعدا مسبقا معك.

يا ترى ماذا يخطط له العم فرحات، هل سيتكلم مرة أخرى عن هذه الجماعة أم ماذا؟ أم أنه يريد أن يبرئ نفسه من كل التهم والأحداث التي تجري مؤخرا؟

تتغلغل أصابع العم فرحات عبر خصلات شعرة، ثم يمسح وجهه وهو يراقب قلما وورقة جاثمة مكانها، ربما يود كتابة شيء ما أو أنها رسالة عالقة في ذهنه، ربما هي كلمات مؤجلة إلى حينها تضغط على تفكيره، ثم يرحل بها إلى تلك القضايا المشينة، التي تسبب له نوعا من الإحراج والتريث في الاتخاذ القرار،

هذا القرار يحوم حول الانسحاب أو مواصلة السباق داخل مضمار ممزق الأطراف،

لم يقتنع ضابط الوحدة عن قرار المحكمة وأسرع إلى الاجتماع بعناصره. لأن الشكوك مازالت تحوم حول عبد الله:

من منكم مقتنع بنتائج المحاكمة؟

لا أحد سيدي، نحن في خدمتك كما تأمر.

سنشكل فرق المتابعة لتقفي أثره دون أن ينتبه لنا أحد، قبل ذلك سننشر صورته عند كل حاجز.

حاضر سيدي، كل ما في الأمر هو التركيز على نقاط التفتيش في الحواجز الأمنية، فلا ندع أي شخص يمر إلا بعد التأكد منه، ربما سيحاول الهرب خارج المدينة.

لا تنسى الاتصال بكل من وحدات الشرطة في المناطق الحدودية، وقم بإرسال صورته حالا.

ترتب زينب طاولة العشاء للقاء أخيها، ثم تراقب الساعة بلهفة لأنه طال الانتظار، تجلس في قلق وعيناها تتراقص بين الساعة والهاتف الصامت هناك، تكلم نفسها وكأن إحساسا ما يراودها:

أخي أين أنت؟ لما هذا التأخر؟

صوت الرسالة النصية يوقفها من مكانها مسرعة نحوه.

يا ترى ماذا كتب فيها؟

فتسارعت دقات قلبها حين قرأت اسم أخيها:

إنها من أخي:

""أختي الغالية، من الصعب جدا ان تنام وعيناك مفتوحتين، لقد حاصرنا هذا الوضع رغما عنا ونحن نبحث عن الحرية، تلاحقنا التهم أينما كنا كسهام غادرة، فلا نجد من يفهمنا أو يتقبلنا، لن نسكت مرة أخرى إن ضاع حقنا أو اخطأوا فيه، أشكرك كثيرا على وقوفك بجانبي فقد قرأت عنوان المقال بالجريدة، من جهة أنا سعيد لأن لي أخت مثلك. ومن جهة أنا حزين لأني اخترت طريقا آخر بعيد عنكم. أطلب منك السماح. الأخ عبد الله".

لم تصدق ما قرأته فرمت الهاتف جانبا ثم أجهشت بالبكاء:

أين الآن أنت يا أخي؟ لماذا ترحل بهذه الطريقة؟

تزيل زينب الستار بعد أن أشرقت الشمس، ثم تقف أمام المرآة لتغير ملامح وجهها، فتخطف القليل من ذاك اللون وتضيف إليه لونا آخرا،" وتخرج مسرعة نحو مكتب الصحفية فاطمة تمر على مكتبه فتستوقفها جريدة تحتفظ باسم اخيها. تكاد تذرف الدموع فاحمرت عيناها وواصلت السير. ها هو باب مكتب الصحفية مغلق فتضطر إلى فتحه دون استئذان:

زينب: آسفة على الإزعاج.

فاطمة: ما الأمر يا زينب؟ وجهك يبدو شاحبا. استريحي قليلا.

زينب: الأهم يا فاطمة إني قمت بالواجب اتجاه أخي. لكنه نكر هذا الواجب وسار في الطريق الخطأ. كيف يمكنني أن أنسى ما حدث؟

فاطمة: لا يا زينب إنه أخاك، فهروبه وعدم العودة إلى المنزل حفاظا على سلامتك. قد يحدث وتداهم الشرطة منزلكم بحثا عنه.

زينب: لا أصدق ما تفعله الشرطة، إن الوضع متأزم كثيرا فالحذر واجب.

فاطمة: إنها سياسة العصابات، الكل يريد أن ينجح في أفكاره على حساب الآخرين، نحن لا نقبل ان تشترى مبادئنا في وسط يجعلك هاربا أو متهما أو قاتلا.

تفتح زينب الرسالة النصية وتقرأها جيدا، فيما تنصت فاطمة إلى تلك الكلمات القاسية والمعبرة في آن واحد، فلا جدل سيطرق بابها ولا مدينة تتسع لمثلها، تتساقط كأوراق الخريف، وتحتويها زوبعة قاسية ترميها هنا وهناك، وفي ثنايا قلبها يعتصر حب أخيها، ترتمي في خلجات نفسها فكرة ركوب قطار جديد، هذا القطار الذي لا تريده أن يتوقف إلا إذا عاد إليها أخوها حيا أو ميتا.

في حدود الساعة العاشرة صباحا، تدخل غرفتها التي عمها الصمت وانقض على وحشتها الحزن، تفتح ابواب الخزانات المتفردة و أدراج المكتب، الكل يشاهده هذه المأساة لتبدأ في جمع الأغراض وهي تحدث نفسها،" ليس كل شيء في هذه الحياة جميل، ولكن ليس كل طرق وعرة"، كأنها تعبد الطريق للبحث عن أخيها. تجمع ما استطاع يدها الإمساك به، وتنزل الأدراج نحو حافلة نقل المسافرين. تنتقل زينب بين محطات المدينة الواسعة، طوال النهار لا يرتاح جسمها المتعب، ولا يشتهي قلبها شيء لسد رمقها، تحمل معها قارورة

ماء فقط لتغتسل من شدة التعب، تراقب كل حركة عبر نافذة يغطيها الغبار، وتتبع كل سيارة علها ترى الوجوه عن قرب، فجأة تتوقف الحافلة جانبا كما تتوقف معها حركة سير، فتتطاير الأسئلة من أفواه الركاب:

ما الأمر لماذا توقفنا؟

الهدوء أرجوكم، إننا في حاجز أمني. ننتظر دورنا للمرور.

يتوقف محرك الحافلة وحيرة الركاب تلفها، ليس من السهل المرور دون تفتيش خاصة في مثل هذه المناطق التي تكتظ بالحوادث، يأمر الشرطي السائق بالنزول ثم يفتشه جيدا، كما يصعد الآخر بين الركاب محدقا في وجوههم، ويأمرهم بالنزول جميعا إلى حين جمع المعلومات عنهم، تتمالك زينب نفسها ويصفر وجهها خوفا من حدوث إي شيء، يحدق الشرطي بتمعن في وجهها ثم يسألها:

إلى أي مكان تقصده؟

تتلعثم في إجابتها وكأن البوح صار ممنوعا على لسانها.

أنا يا سيدي، أنا ..... وتصمت قليلا، ثم أخرجت صورة اخيها من حقيبتها تسأله:

هل رأيتم هذا الشاب من قبل؟ فأنا أبحث عنه منذ أيام.

تفاجأ الشرطي بصورة الشاب التي تم نشرها عند كل حاجز أمني، فهو مطلوب رغم براءته المشبوهة، وكانت الفرصة مواتية لمعرفة مخططاته والقبض عليه من خلال أخته زينب، فيقوم باحتجاز ها للبحث في كل التفاصيل التي تخص أخاها، ومع كل دقيقة تمر يزداد قلقها وما يختلجها أنهم لن يطلقوا سراحها أبدا، حين اقتادها الشرطي إلى داخل سيارة مصفحة وهمت بمغادرة المكان.

تتوزع نظراتها على تلك الطاولة الجالسة إليها، تستذكر رسالة أخيها النصية، على أمل إيجاد مخرج في أقرب وقت ممكن، و لم يخطر ببالها أنها ستبيت أياما أخرى داخل زنزانة، ثم تحاور نفسها التي ترفض قول الحقيقة خوفا على أخيها، صراع في الشوارع و صراع داخل قلبها، تعانق بشوق صورته التي وضعها الشرطي أمامها، فتهب رياح أسئلته الكثيرة لتنشر الضجيج في المكان، بين سؤال و جواب يمتزج ببكائها وصراخ الشرطي من دون توقف، كأنه يخلع ضرسا باتت بلا فائدة، تتكسر الاجنحة بعد أن أغلق السجان الباب، واحتلت العبرات على المقل، تواسي هذا الفراغ الرهيب خلف القضبان الحديدية، تصرخ بشدة و هي تمسك بها كأنها تجمع حطام الدمار الذي لحقها

عنوة، ثم تهدأ كنسمة خفيفة و تمسح عن جبينها العرق المتصبب، إنها ليالي موحشة تمر عليها من هنا، تتقاسم معها طول الانتظار و لوعة الشوق للقاء أخيها، تكلم نفسها بلغة الخوف من الضياع في هذا المكان الضيق، فلا أحد يسمعها إن صاحت، ولا أحد يجيبها إذا سألت. فلم يكن بحوزتها أي شيء سوى ذاك الكتاب الموضوع على حافة مهترئة، وبعض الأوراق القديمة تآكلت أطرافها، واجتمعت عليها يرقات تتدافع في عنف، استسلمت للأمر الواقع لتنهض من مكانها، وتختار من أحد الزوايا الأربعة زاوية لها، تنكمش على بعضها وتستنجد بأفكارها علها تجد طريقة تخرجها من هنا. وبعد دقائق تنهض لتلامس الجدران الباردة، وترمي ببصرها داخل تصدعات متفرقة، فلم تجد إلا ثقب صغير استقر نظرها به وبعض من بقايا الحجر المتجمع بالقرب منه، تفتح ذاك الكتاب ثم تنفض عنه الغبار كان عنوانه لا يظهر جليا فأخذت تهجي أحرفه وتركبها، لتقرأ العنوان بعبارة حزينة " أين كنت"، ثم تعيده مرة أخرى، كما لو أن هذا الكتاب يحكي مأساتها أو أنها شخصية هاربة منه فأحببته، زال التعب فيما راحت تداعب كلماته إلى أن داهمها النعاس.

يستيقظ العم فرحات كعادته و يرمي على رأسه ذلك الشاش، يرتب عباءته البيضاء، و عيناه تتراقص بين أحرف على صفحات الجريدة، كان

يوصلها أحد جيرانه بعد مروره أمام الحي، ثم يختار من بين أوراقه ما سيتحدث عنه في مقابلته الأولى، تتسابق عقارب الساعة نحو التاسعة صباحا، فيضطر بعدها مغادرة المنزل بسرعة، هذه المرة لن يستقيل سيارة أجرة أو حافلة نقل المسافرين، و إنما سيستقيل دراجته الهوائية القديمة التي كانت مرمية بمرآب منزله، يحب أن يستنشق بعض الهواء و يقوم بحركات رياضية لقدميه، يجتاز بعض الشوارع الطويلة و فوزه في السباق مع الزمن يصل نحو مقره، و عند دخوله يجد الصحفية زينب في انتظاره تتبادل أطراف الحديث مع الشاب حسين.

يلقي التحية ويدخل مباشرة نحو مكتبه ثم ينادي على حسين.

نعم العم فرحات.

من هذه السيدة التي تنتظر هنا؟

إنها الصحفية، لقد أخبرتني أنك اتصلت بها واعطيتها العنوان.

آه حسنا اسمح لها بالدخول.

تهم الصحفية بالدخول فيرحب بها ويأمرها بالجلوس.

تفضلي سيدتي، لقد كنت منذ أيام متحمس لنشر هذا المقال.

حسنا. لكن عما يتحدث؟

يصمت قليلا ثم يتفقد الأوراق التي كان يحملها ويخرج المقال أخيرا. ليقدمه لها مبتسما.

هذا هو المقال الذي أود أن ينشر غدا.

حسنا. سأقرأ محتواه أولا.

تراقب كلماته من حين لأخر ترفع راسها نحو العم فرحات. واثقة من أنه ستحاول نشره حتى ولو احتوى على موضوع مثير للجدل.

في اليوم الموال ينشر المقال و كان يحتل الصفحة الرئيسية، و من بين الجرائد التي تصدر في المدينة، فقد أحدثت جريدة اليوم ضجة كبيرة، إذ تهافت عليها الكثير من مؤيدي العم فرحات، لكن في الطرف الآخر قد خرج الضباع التي تعمل في السر إلى العلن، فما كتبه العم يعتبر تحديا صارخا لكل المنافسين، فبات الكل يكنّ له ضغينة كبيرة فزاد التنافس على ذاك الكرسي الحديدي، ليقابل هذا المقال ملصقات غزت الشوارع وأبانت عن نيتهم غير جميلة، كما تلتها مطويات ومنشورات تنشر على كل طالب للحرية، كانت تميل

إلى العنف من أجل كسب الحياة الكريمة، و ترك سياسة الكلام المتواضع وغير جريء، تجرأت الضباع على تغيير القناع المستعار، فبدأت أسمائها تتداول بقوة وانتشرت بسرعة، لم تكن مجرد أوضاع بل تصاعد الدخان في كل جهة و في كل شارع، وأصبحت الشرطة لا تفرق بين شاب أو مسن، كما زادت التكتلات وانتشرت كالنار في الهشيم. فمنها من انقسمت إلى مجموعات صغيرة ومنها من اختار بين المدينة أو الجبل، تسيطر عليها جماعات مثل جماعة رضوان التي تجوب الشوارع تارة ليلا وتارة نهارا، تترك الفزع أينما حلت فيزداد الوضع سوءا، وتزداد حماسة السياسيين نحو اليوم الموعود، ترى الكل حاضرا بقوة والكل يفرض رأيه بطريقته الخاصة.

تطفو إلى السطح أسماء جديدة كانت تقيّم الوضع من بعيد. وبجانب محطة نقل المسافرين التي لفها السواد وانتشر من حولها الرماد، يتفقد الشيخ محمد مكتبه ذهابا ومجيئا بين ملفاته التي تنتظر طلوع فجر جديد، يقلب الجرائد التي تراكمت كل يوم بعناوينها المختلفة، يتوسطها عنوان مقال العم فرحات، هذا الشيخ الذي يتنافس بشدة على الكرسي الحديدي، يأمل في انتهاء هذا الجدل والقبول بطريقة شرعية نتائج الصراع القائم، ليس سوى أنه يريد أن يقود هذه المدينة على مبادئه، وفتح الطريق نحو عودة الهدوء إلى

قلوب ساكنيها. وقبول نزول الفارين إلى الجبال أو منظمين إلى عصابات. وإطلاق سراح المسجونين.

يغير القناة عبر التلفاز القديم الذي وضع أمامه، و يعصر بيديه حبة عنب حتى طرقت اصابعه، ثم يسحب لحيته التي امتزجت ألوانها نحو الأسفل، ليعبر في قرارة نفسه عن أولوياته خوفا ان لا ينجح فيها، محاولا أن يشغل باله قليلا بعيدا عن هذا المزاج المتواصل، فهناك أمران لا يفهمهما كيف سينجح العم فرحات بهذا الكرسي؟، ومن هي تلك الصحفية التي تسانده في مقالاته؟، يا له من شخص يحتار تفكيري حوله بعيدا عن التوتر الحاصل هنا وهناك، يود لو بإمكانه الاعتماد على أشخاص موثوقين حتى يستطيع التحرك واستغلال اللحظة المناسبة بجدية، إن ما يدور بذهنه هو طرق باب من أبواب التمرد، لكنه ليس تمرد من أجل مصلحته، وإنما سيدافع بطريقته عن مصالح الاخرين، يتأمل في بدايته حين يستدعي رضوان الذي يعرفه الكل، بل يخافونه كمتمرد يحب المال.

يلتقيان في ظرف استثنائي، فأكثر ما يحبه الشيخ محمد هو المزاح، وإن كان هذا سيشكل عائقا أمام رضوان فقد يغيره بدلا من انتظار أجوبته.

أتعرف يا رضوان من منا لا يعرفك؟ سنتجاهل هذا الوضع ولكن لا أستطيع أن أتجاهل كل من العم فرحات منافسي الأول، والصحفية فاطمة.

أفصح عما تنوي فعله، ربما هي صفقة مشبوهة تحوم كالحمام، فأنا أشتهي اصطياد الحمام، مقابل ما نتفق عليه مسبقا.

ستكون في صفي مقابل أموال، فحاول أن تستعد لمثل هذه الصفقات، أنا لا أريد منك إلا التخلص من بعض الأشخاص مثل ما قلت سابقا، أعرف شعورك اتجاه هذا الوضع فإنه يخدمك جيدا أليس كذلك؟ آمل أن تكون على قد المسؤولية.

يتعانقان كالحبيبان في مزاح الذي عاد إلى الأفواه، يرتبان ما عليهما ترتيبه، وإمضاء بعض الأوراق التي يتشاركان فيها. يتغلغل بينهم حب وترتمي في أحضانهم مودة. كمن تهدي لكل منهما طردا مشبوها. في محاولة منهما صنع بساط يتسع لهذه المدينة. او شباك لصيد بقايا الأجساد المنحنية. يتفقان كالطعم والسنارة حين تغوص في الأعماق. يسعى رضوان من خلاله كسب المال. ويجتهد في الخفاء لأن يكون المنافس الآخر يجري وراء هذا الكرسي. يمتص مزاح الشيخ ويحدو حدوه في إنجاح ما اتفقا عليه.

بعد يوم طويل يستيقظ المتنافسين الذي يركبون الأحلام بشتى الطرق، على وقع الاحتجاجات واكتظاظ الممرات المؤدية نحو الممثل الرئيسي، إنه وقت الإعلان عن النتائج والخوف من انفلات الوضع، و لم يكن متوقع أن تتوقف عقارب الساعة عند الرابعة و النصف مساء، تهتف الأفواه بشدة وتختلط بحيرة الانتظار، استمر لبضع دقائق حتى خرج المتنافسون من مقرهم المعتاد، على وقع الفائز الذي هتف له الجميع باسمة العم فرحات، إنه العم فرحات، يحيا العم فرحات، يتوج العم فرحات بالكرسي الحديدي لطالما كان يحلم به، كرسي فرق شمل السياسيين وفتح لهم أبواب المعارضة، في غرف متفرقة تجتاحهم براكين الثورة ضد الفائز الأول، في حين لا يختار هذا الأخير إلا المشي قدما في شوارع المدينة، أين اختار مقره أن يكون نقطة التقاء لمفترق الطرق، فكان الحماس يقتله لفتح الحوار مع مختلف الجبهات، و يوسع مساحة الالتقاء ليضم إليه بعض الأسماء اللامعة في الوسط السياسي، كان كل صباح يمهد لأولى مخططاته على مدار أسبوع كامل.

تستغل فاطمة الوضع الراهن خلال التجمع الكبير الذي أحدثه المؤيدين، لتجمع المعلومات حول طريقة فوز العم فرحات، وراء كل تغطية تفاصيل جديدة تراها تستعد أيضا لمقابلة المرشحين الآخرين، بعد طول الانتظار تجد

أخيرا طريقا لوجهتها بين الهتافات و الواقفين الذين يراقبون الحدث، مع تشديد أمني كبير خوفا من أي انزلاق قد يحدث، ها هي تنقل تصريحات العم فرحات عبر الميكروفون، و تسجل بعض من كلماته القوية لتكون خاتمة مقالها الجديد، لكن بين تلاطم امواج الحاضرين يخطو رضوان في زيه الأنيق، بخطوات يائسة تجبره على العودة إلى الخلف والمكوث من دون ريب يكشفه، فيما انتشر رجاله فرادى بين هذا التدافع القوي ينتظرون أي إشارة منه، بين الهتافات تفوح اخبار الشوارع و بين الافواه تتلفظ من غير حسيب أو رقيب، وتجوب الالسن من هذا و ذاك، إلى أن تلقى مسمعها خبر ما حدث بالأمس حين تم تفتيش حافلة الركاب، و اقتياد بعضهم إلى مخفر الشرطة ثم إلى مكان مجهول، تتوقف مندهشة و منصتة لما يقوله هذا الشاب بطريقة مؤلمة حول سيدة كانت ترتجف خوفا، ثم تتجاهل ما تسمعه لتواصل لتسجيل، و بعد الانتهاء تعود إلى البحث عن الشاب علها تتمكن من معرف التفاصيل أكثر لكن دون جدوى.

يحاول رضوان اغتيال المترشح الفائز، يقترب رويدا رويدا من مكان الحدث، لكن انتشار الشرطة حال دون ذلك، ينهي العم فرحات تصريحاته ويخرج من الباب الخلفي، ثم يختفي عن الأنظار إلى حين تسلمه الكرسي الحديدي.

أين يا ترى سيكون مقره في المدينة؟ ومن سيكون له مساعدا في مهامه الجديدة؟

بعيدا عن الضجيج وبعد يوم شاق، لم يشأ حسين أن يترك تبريكاته تنتظر إلى حين عودة الفائز في المنافسة، يرفع الهاتف والقرار يتأرجح بين الاتصال أو الانتظار. يبدد كل ما يحيط به من صمت في الحين يتصل:

ألو، العم فرحات تهانينا لفوزك، لأنه لشرف لي أن أهنئك.

شكرا يا حسين. سنكون في خدمتكم. غدا تعال إلى منزلي. أحتاجك في أمر مهم.

لا عليك. سأكون في الموعد.

تنتاب حسين حيرة في أمر هذا العم، فراجت أفكارا في مخيلته تترتب في عجالة، تبدوا غير واضحة له أو أنها مجرد أوهام عابرة، يضفي عليها روتين معتاد، من حين إلى آخر يمضي على بعض الاستدعاءات اللازمة لحضور إحدى الاجتماعات، و قبل الانتهاء من العمل بقليل يلاحظ سيارة تركن مباشرة أمام الباب، وينزل منها رضوان كان في لباس لائق ولحية طويلة، لا توحي بأنه رجل عصابة ثم يتجه نحو المقر، يدخل في تواضع كبير، يفتش بعينيه المكان فيقاطعه حسين بسؤاله:

مرحبا كيف أخدمك؟

ينظر إليه رضوان مطولا يكاد الشك يظهر على محياه ثم يقول:

أين العم فرحات؟ لقد جئت كي أبارك له فوزه في المنافسة.

عذرا، لم يلتحق هذا اليوم، لقد هاتفته منذ قليل ولم يقل لي شيئا عن مجيئه، يمكنك العودة غدا إذا أردت، أترك لي اسمك وسأبلغه بذلك.

شكرا، أنا رضوان يمكنني العودة غدا أو ربما سألتقيه يوما ما.

بدى أسلوبه جميل ولباقته تكسر العوائق، ينصرف رضوان ورجاله على وتر السرعة، وفي كل مرة يسأل رجاله أين قد يجد مكتب الصحفية، يحاول تذكر اسمها لأنه كالعصير لا يغادر المائدة، جريئة في كتاباتها على حواف كل واقعة تجدها تجمع النقاط، تستعمل دلالات واقعية لأنها تدافع عن حريات اختبأت في جوف العصابات، يلتفت يمينا وشمالا ثم يوقف السيارة، ويسحب الجريدة من أمامه بالقوة فتضطرب أوراقها، يقلبها وعيناه تتحمسان لقراءة اسمها، ها هو يطل من نافذة الفزع مستسلما للسانه، الصحفية فاطمة. يرددها مرات فاطمة....فاطمة....فاطمة كأنه ينشد اسمها أو بشكل بيتا شعريا.

هذه المرة لن يخطئ المرور عبر تهديداته حين يطلقها، فلا بد من تغيير لهجة المعارضة وإخراجها إلى نطاقها الواسع، ما يقصده أنه بدأ العد التنازلي للتنفيذ والتخلص من كل عائق، قبل كل شيء يجب أن تتضح له بعض الأمور، وفي سياق ذاتها تجتمع الأسماء في محشر يحضره لها، فالغاية تبرر الوسيلة التي سيعتمد عليها، يرمي على كل لافتة علقت عاليا نظراته الثاقبة، يستنجد برجاله في معرفة ما كتب هناك كأنهم يشاركونه فتح قارورة خمر، ليجتمعوا حولها في علانية، وفي كل خطوة يتجنب رؤية الشرطة أو أن تراه الشرطة، فيدير ظهره مع رجاله كاجتماع مفاجئ حول إبعاد الشبهات، توسطت الشمس كبد السماء ومازال البحث جاريا، هذه المرة يستنجد بأصحاب المحلات المبعثرة كأوراق الشجر، وكل من يقصده يقاطعه قبل أن يواصل سؤاله، كانت كل الإجابات غير مقنعة، تحمل في بدايتها "لا " هو نفي لأن لا أحد يريد البوح، يتريث و يخزن انفعالاته في الأعماق يتمنى ان لا ينفجر قبل الآوان، يدع كل ما يتلفظ به لسانه بعيدا، إلى أن أوقف على الرصيف شيخ هرم لف ملامحة الشيب، لينتزع منه الاجابة بكل لباقة وحكمة ببعض الاسئلة:

عذرا شيخنا، إننا نبحث عن مكتب الصحفية فاطمة، هل تعرف مكانه؟

يرد عليه الشيخ بكلمات بعضها اختنقت خلف لسانه:

أنا لا أسمعك جيدا، أعد ما قلت.

ينحني صوب أذنه وبصوت مرتفع قليلا يعيد كلامه:

نحن نبحث عن مكتب الصحفية فاطمة، ألا تعرفه؟

فاطمة، أه، تذكرت الصحفية فاطمة، انظر هناك في الشارع الاخير، استدر على يمينك وتابع السير إلى أن تجد لافتة كبيرة، لا تضطر إلى النظر فيها طويلا لأنها مكتوبة بحرف كبير ذاك هو مكتبها.

ينحني إليه مرة أخرى شاكرا إياه على المساعدة.

يصعد بمؤشر السرعة القصوى إلى أن وقف أمام باب مكتبها، ثم يأمر رجالة بالبقاء في السيارة فلا أحد يتبعه في مهمته، يفتح الباب في لباقة كعادته فتستقبله بالمثل قائلة:

مرحبا، كيف أخدمك؟

هي نفس الجملة تستعملها مع أي زبون يلج مكتبها.

مرحبا انا رضوان، لقد قرأت عدة مقالات جريئة، مقالات تتحدث عن الجماعات وما تخلفه من تأزم في الوضع.

يدخل مباشرة في التهديد، من دون أن يسمح لها بالتعبير قائلا:

انا احذرك بلطف أن تتوقفي عن تتبع الوضع، وتهتمي بعملك من جهة أخرى، سأقولها ولن أعيد الكرة أنا رضوان أحد أفراد الجماعة التي تتحدثين عنها، فإياك أن تدخلي مدخل لا يليق بك.

عذرا سيدي، أظهر القليل من الاحترام.

كيف ذلك، وأنتم لا تتركون مجالا للشك، همكم الوحيد المعلومة صحيحة ام خاطئة.

ليس من هوايتي جمع المعلومات الخاطئة، كل يعرف عمله جيدا. وانت بمكتبي أظهر القليل من الاحترام، أقولها وأعيدها.

تعلمين منذ متى ونحن نعاني هذا الصراع، ليت أقوالك تذيب هذا الجليد القاسي، صحافة بلا هدف.

كيف ذلك؟ يا لك من حقير متجبر، أخرج من مكتبي.

تنظر إليه مستغربة فيما يقوله، دون أن تتلفظ بكلمة أخرى، فهو لا تليق معه اللباقة،

ليتني أقابلك مرة أخرى، حياتك على المحك فاحذري.

تمكث في مكتبها ساعات لتسترجع ما قيل لها، وتتجادل مع قلمها الذي ينزف كلمات من دون توقف، حتى ارتوت الورقة واكتمل المقال، كان المقال يجمع ألفاظه البغيضة ويقسمها إلى فقرات، ترفض المساومة أو العدول عن مبتغاها، ليرتفع سقف التعنت بل التحدي، تتكأ إلى الخلف لتدوس بأفكارها على كل ما حدث في غضون شهر فقط، وتستحضر ما تهامس به الشاب مع صديقه حول السيدة الخائفة، فتلج بين تصدعات السياسة ومخلفاتها:

هذا العم فرحات، هذه جماعة رضوان، هذه زينب وأخيها...وأخيرا الصحفية فاطمة.

لم يبقى لها إلا نشر هذا المقال، ليفهم من يريد استنشاق الحرية ما عليه إلا الابتعاد عن التكهنات المفزعة، و يملأ قلبه بالرغبات القوية التي لا تنزلق على صقيع الوضع، ولا تتمزق بين أشواك الجبال، تطلع على مقاطع مختلفة من مقالات كتبتها مند الإعلان عن الفائز، في حين تنتظر تتبع مخططات العم

فرحات، الذي سيكون في النظر الكل الممثل الشرعي عن وحدة المدينة، فتقتحم لفحات الوضع المتأزم بسيعها إلى تقشير أماكن الخلل، التي تسكنها الجماعات أو أسماء السياسيين، إن تمكنوا هؤلاء من إذابة الصُّلب في أيديهم، فقد أخطأوا في طبيعة الصُّلب المداب، يصبح أقوى حين يتجمع بعيدا عن النار.

تخرج بعدها مضطرة لتريح عقلها، و بعد المضي قدما بسيارتها تجد نفسها عالقة في زحمة السير، تكابد عناء الانتظار والوجهة غير معلومة، وفجأة تطلق أبواق السيارات من دون توقف، تختلط بصافرات الإنذار لسيارات الشرطة لفسح المجال، على بعد أمتار يهرع الركاب هربا من المشهد، فتنزل لترى بدورها ما يحدث هناك، تتجاوز الزحام مشيا على الأقدام ففي كل مرة تنزعج من صوت الابواق، إلى ان وصلت إلى مكان الحادث في ترقب، كان المشهد يدمي العيون من شدة النواح على من فقد حياته، يبدو كطالب تفوح منه رائحة الاجتهاد، يعانق الأفق بمحفظته التي يحتضنها، و جسمه الملطخ بالدماء يستمر في النزيف، كم كان الوقت سيئا وحزينا في نفس الوقت، تندفع الشرطة في المكان بعد فقدان الأمل في النجاة، كان وصولها بطيء كعقارب الساعة

المعلقة على الجدار، يطوق المكان و يفرق الجمع الغفير، لتحمل الجثة الهامدة إلى مثواها الأخير، كم تختلف الأوضاع في كل جهة من هذه المدينة.

ينتشر الخبر كالنار في الهشيم، بين أوساط الطلبة في المدارس والجامعات، فتغلق أبوابها و تتحرك أفواج هائلة مما دفعهم الحماس نحو الحرية، وانضمت إليهم مختلف الفئات العمرية، بالهتافات والتنديد وكان طريقهم واحد، اتجاه مقر العم فرحات، تستنفر الشرطة كل وحداتها، وتبني صفوف من جدران بشرية لصد الزحف، يستقبل العم هذه الضجة بضجة اعلامية أكبر، إذ سارعت كل القنوات والصحف إلى تغطية هذا الوضع، وإلقاء اللوم عليه عبر كلمات ألقاها معارضيه، لإجباره على الانسحاب من دون أخطاء أخرى، فكان سعيهم إلى زيادة الوضع تأزما، لكن سرعان ما هدأه و تحايل عليه من خلال رد الاعتبار لعائلة الفقيد، وتشديد الأمن أمام المدارس والجامعات.

في اليوم الموالي يستعد بعض الطلبة لزرع الفتنة وسط الصفوف داخل المدارس، بعد استعمالهم لمنشورات لاذعة تضم تهما مست العم فرحات، فاشتد النزاع بين مؤيد ومعارض لهذه الأفكار، وحدثت مشاجرات استعملت فيها الأسلحة البيضاء التي حملوها معهم، مما أدى بوفاة طالبين من نفس

المدرسة، وجرح آخر في إحدى الجامعات، استمرت هذه الأحداث قرابة نهار كامل، تم فيها غلق كل المنافذ المؤدية إلى خارج الأسوار، و ترويع الطلاب للتحكم في الوضع حتى لا يلحق الأذى بالأخرين، ثم قامت الشرطة باعتقال مفتعلي الفتنة و حاولت معرفة من كان وراءها، لكنها لم تتمكن من ذلك فلا أحد يتجرأ على قول حرف واحد.

يهم حسين بمغادرة مقره مشيا على الأقدام، يقتني بعض حاجياته من الدكاكين، التي تصر على مواصلة العمل رغم الوضع، لكن أصحابها على استعداد تام لغلقها إذا استدعى الأمر، ثم يهم بقطع الرصيف الذي يحمل على أعقابه بقايا الانفجارات، تتراكم يوما بعد يوم و تسبح إلى الجهة الأخرى، إلى أن وصل أمام لوحة مرور مالت على جانبها تتهم ابناء الحي، تتمنى أن تخلع من مكانها فلا قيمة لها بعد الآن، يقف متمعنا في حاجياته إذ تمر بجانبه سيارة مسرعة، ثم تبطئ السرعة عند المنعطف و تتوقف، يواصل حسين سيره غير مهتم بما يحدث خوفا على سلامته، حينها يصل إلى منزل العم فرحات، لكن تلك السيارة تظهر تارة وتختفي تارة اخرى، فقد كان رضوان شديد الحرص على معرفة صاحب المنزل، بعيدا عن الأعين يركن سيارته، ويأمر أحد رجاله أن يتقفف أثره بالقرب من المنزل، من حين لآخر يترصد

تحركاته، يستمر الترصد كالصياد يجهز بندقيته، ليرى العم فرحات يخرج أمام الباب داعيا حسين للدخول، ليتأكد من صاحب المنزل ويجمع رجاله ويغادر على جناح السرعة.

يرتاح على أريكة قديمة بعض الشيء، إنه منزل متواضع لصاحب المسؤول الأول عن وحدة المدينة، ثم يعيد تقديم التهاني مرة أخرى ويخلع معطفه، يتقمص العم فرحات دور القس في تقديم النصائح، فيسحب من تحت الطاولة مذكرة ذهبية، تنفض عنها غبار في وسط مليء بالتهيجات، تخشى القلوب الضياع بين لحظة وأخرى، لتنقشع عنها غيوم التستر بعد سنوات طويلة، كان حجمها متوسط يلفها خيط فظي جميل، يقدمها لحسين ولسانه لا يكف عن شرح ما بداخلها، كأنه لغز قديم لعائلة ذات وزن سياسي، يبتسم قائلا:

لقد اخترتك يا حسين لأمنحك هذه الأمانة، فأنا أثق فيك وفي مبادئك، إليك هذه المذكرة وأياك أن تضيع منك.

هل يمكنني أن أقرأ ما جاء فيها؟

بالطبع، يمكنك ولكن احذر أن تضيع منك.

يقتنع أن فتحها واجب لينظر أي كلام تحمله، فربما كانت مقالات خطيرة لم يتم نشرها، أو كان محتواها يتحدث عن الوضع ومن المتسبب فيه. فيقلب صفحاتها في عُجالة ثم يعيدها إلى طبيعتها، ينهض حسين وقد اقتحمت تلك المذكرة حياته، على خلفية صعبة يحاول الكل فهمها، فلا مغزى من الاصطياد في مياه عكرة، ثم يعانق العم فرحات مؤكدا له أنها لن تضيع منه، يفتح حدودا خطيرة تختبأ بين طيات أوراقها ويهم بالانصراف.

إنه لأمر محير يراوده وهو يركب حافلة نقل المسافرين مباشرة نحو منزله، يخفف حدة التوتر كلما اطلع على غلاف المذكرة، وتمعن في خيطه الفضي، يرغب بشدة في قراءة محتواها بالكامل، قد يفهم منها ما كان العم فرحات يتستر عليه، وأي مدينة هذه التي يصنع فيها سياسيون أصفاد من حجارة، يحرك جسمه قليلا انزعاجا ممن كانوا بجانبه، ثم استقرت عيناه على شيخ مسن يتمتم بكلمات كأنه يداعبها.

تأخذ فاطمة مسلكا آخر في عملها، تجمع بين الصحافة والتنقيب، تحمل في معداتها قلما ودفتر وردي ومحفظة صغيرة، إنها تعلم أن الوردي لغة النساء، تقف بين مطرقة النشر وسندان الوضع المتأزم، فهي لا توافق على أسلوب الجذب والنصب، من كثرة ما يحز في نفسها من معاناة الآخرين، تسابق

الزمن في عنوان آخر "القوة تعبر عنا"، توقد حربا بداخلها بدلا من إلقائها في الشارع، تلك الحرب ربما لا تقوى عليها لكثرة المحاربين، فيجدر بها التوقف إلى أن تهدأ، تحمل محفظتها الصغيرة التي تتدلى في الأسفل تعبر عن ارتياحها، وتتخطى الروائح المنتشرة على قارعة الطرق، مسرعة إلى مخفر الشرطة حيث يترامى في مدخله شرطيين، تعتقد أنه المكان الصحيح لفك لغز السيدة الخائفة " زينب "، واقتناص فرصة لكتابة مقالها الجديد، أو ربما بثه عبر شاشات التلفزيونات القديمة أو عبر موجات إذاعية تختنق ضيقا، ربما تستطيع إسماع صوت الحرية.

تتقدم نحو الضابط في استرخاء، وتمنحه بطاقة هويتها تعتبرها كإكليل الزهر يوضع حول العنق، وهمّها الوحيد هو السباحة نحو الشاطئ الآخر أين تختبئ المعلومات، يطلب منها الجلوس ويبدأ الحديث في هدوء:

مرحبا، تفضلي السيدة فاطمة، كيف أخدمك؟

على غرار ما حصلت عليه في الأيام الماضية، أملي الوحيد هو معرفة ماذا حصل لسيدة اسمها "زينب ".

وما همك انت، لا يمكنك الحصول على أية معلومة هنا، ومن هي السيدة زينب؟

إنها سيدة من وسط المدينة، اعتقلوا أخوها بتهمة لا صحة لها، وبعد المحاكمة أفرج علية ببراءة.

كيف اسم أخوها؟

إنه الشاب عبد الله.

أعد ما قلت عبد الله المنضم إلى جماعة. ليس لنا أي خبر عن أخته أو ما حصل لها. لكننا نبحث عنه في كل مكان.

لماذا سيدي؟ إنه بريء وهذا ظلم منكم.

توقفي عن قول هذا، عن أي ظلم تتحدثين عنه؟

ثم يأمرها بالمغادرة فلا جدوى للإكثار من التفاهات، وما أكثرها حين يبحث طالب الحرية عن حريته، في اعتبارهم تفاهة لا مناص من الجري وراءها، تخرج من الباب الواسع مهزومة، فتشعر في قرارة نفسها أنها خذلت هذه السيدة بل خذلت الجميع.

يستغل البعض هشاشة الوضع لكسب مآربهم، وحماية أنفسهم فكان ضابط الشرطة يزيح من أمام الصحفية تلك الملفات، التي تئن لما تحتويه من ظلم وانتهاك للحريات، فهو يجمع الأموال مقابل تنفيذ أوامر رجال العصابة، وبعد مغادرتها يسحبها أمامه ليراقبها عن كثب، وفي الحين يتصل بالسيد رضوان ليخبره عن تحركات الصحفية، وعن خوفه من كشف المستور للعلن، في مستهل حديثهما يؤكد رضوان على ضرورة غلق القضية في حال، وبأسرع وقت ممكن، تستمر علاقتهما بعيدا عن أعين رجال الشرطة الآخرين، بحذر شديد يفتح أحد أدراج مكتبه و يرمي الملفات، يرميها في المكان الضيق ليضيق الخناق عليها، كما يصر ملف عبد الله على الهروب تحت جناح الظلم، يتنهد رضوان وهو يعود نحو البناية المهجورة لتنظيم المخططات، والتركيز على بدأ السباق نحو الكرسي الحديدي.

يمتص العم فرحات غضب الشارع. ويقرر تحت وحدته أن يضم الأشخاص المتلهفين للولاء، فيسارع إلى تغيير تلك الورقة المتبجحة منذ سنوات، والتي يتمسك بها الطامحين لفرض قوتهم، وملأ الأرض فسادا بمكرهم، ليس سوى أنها أعطتهم القليل من ضوء شمس، وكثيرا من الأوكسجين على أسطح العلاقات، وإن كانت علاقاتهم تتدافع في أعماقها أجمل المصالح، فيحاول

زيادة مساحة التكتل وقبول تحركاتهم، فاختلفت حول هذه القرارات أنظار بعض الرجال من شرطة المدينة، فسارع إلى كبح جماحهم وحفر أخاديد على مقربة منهم، استمع الحاضرين إلى انفعالات العم فرحات، و طأطأ الكل رؤوسهم احتراما له،

تتعدد الصور الوحشية، ويستيقظ الفزع في أوَجّه، فيسرع العم فرحات إلى إعلان السباق مبكرا، وفتح الطريق أمام تعدد مواقف الصراع، كأول خطوة يخطوها على حدود المدينة المرعبة، فيجتمع المعارضون والموالون له على طاولة واحدة، رغم التهيج الذي ينهش وحدة المدينة وأمنها، فيضع كل واحد منهم ملفه المدجج بالسوابق المعلنة، ومع بروز شخصيتهم أمام الملأ، شخصية ترفض الاضطهاد أو إسقاط الأقوال من غير الأفعال، تتراقص الشعارات والرايات بين الشوارع والأماكن العمومية، وترفع الأصوات عاليا في انتظار من يكون الفائز.

يلتقي الثلاثة وجها لوجه، فيتفقد السيد حسين الوجوه الشاحبة قائلا:

مرحبا الشيخ محمد، مرحبا السيد رضوان.

يحدق الشيخ محمد في الحاضرين ثم يرد:

ربما تمني النفس يا حسين بالجلوس على الكرسي الحديدي، فإنه لا يقبل إلا شخصا واحدا؟

يجمع السيد حسين إجابات متفرقة لكنه لم يسمع السيد رضوان يتفوه بكلمة، حينها يسأله:

وما قولك أنت؟ ألا تملك بعض التساؤلات أو ترفض الدخول في جدل، بل أظن أنكم رتبتم لفائزكم الجديد.

يستدير السيد رضوان إلى محمد مندهشا من كلام السيد حسين ثم يخاطبه في هدوء:

ما أمر هذا السيد، احفظ جيدا ما يقوله سيكون حقا المنافس الخطير بالنسبة لنا.

سننتظر لحظة الإعلان،

تمر عشرين يوما تميزت بالترقب والخوف من انزلاق الوضع أكثر، ومع اقتراب الساعة الثانية بعد الزوال يعلن عن الفائز بإلصاق صورة في كل مكان. تنطلق التبريكات نحو الشيخ محمد بسرعة كبيرة، فاختلطت توقعات كل الطامعين وازدادت سهام الاتهامات تتزاحم فيما بينها، لم يقتنع السيد حسين

بالمنافسة، فاضطر إلى رفع تقرير مستعجل نحو المقر الرئيسي، إذ يجمع فيه كل الوقائع:

سيدي، الممثل الرئيسي أقدم لك هذا التقرير لرفض نتائج المنافسة، فالشيخ محمد يريد نشر مبادئه الجديدة، فمخططاته لا تخدم أمن المدينة.

بعد نقاش مطول، والنظر في التقرير تم إلغاء النتائج، وإقصاء الشيخ محمد من المنافسة مجددا، يتواصل الضغط وما زاد الطين بله المشاهد الدامية التي تعانق بقايا الأجساد، المترامية الأطراف يجمعها الباقون على الحياة، ويبكونها حزنا ودما. في لقاء مسطرا له يجتمع الشيخ محمد والسيد رضوان على جناح السرعة، يدخلان في جدال طالت مدته:

أرأيت يا رضوان كيف تسير الأمور؟ كنت أتوقع أن يفعلها.

إنهم يرفضون النتائج ما العمل؟

تمهل قليلا، فلا حاجة لنا لاستعمال القوة بل سنرتب البيت أولا.

أترضى أن تضيع منا هذه الفرصة، لقد تغيرت نظرتهم اتجاهنا وهذا كله ظلم.

كل سنة تكون أسوأ من الأخرى، يجب علينا ان نتخلص من هذه العراقيل.

نعم عراقيل كثيرة من جهة، ومن جهة أخرى لا أريد استعمال القوة حتى لا نحيد عن مسار الأمن وحماية المدينة.

كيف لا تريد ذلك، والبقايا تترامى هنا وهناك، من افتعل هذا الوضع الأكثر تأزما؟

آه يا حسين سأسعى دوما للتخلص منك.

تتملص الانتهاكات عبر الزنزانة، وتستقر على مسامع المسجونين، لا تقتصر على التهم الموجهة أو السجن الانفرادي، وإنما تغيرت ملامح زينب، هزل جسمها، واسودت مقلتيها. بعد منتصف الليل يباغتها سجان طويل القامة، يضرب بعصاه السوداء على باب الزنزانة، ثم ينادي عليها مرات كأنه يطلب منها الاستعداد لحكم الإعدام، يهم بإخراجها عنوة ويدفعها بلا رحمة ولا شفقة، يتجهان في رواق ضيق خافت الأنوار، تتمايل والأصفاد تثقلها، لا تدري أي وجهة يجرها إليها، وفجأة يوقفها أمام غرفة ضيقة ويأمرها قائلا:

أدخلي، هذا المكان يتسع لك.

يهم بالرحيل بعد وصول سجان آخر قليل شعر الرأس أبيض اللحية، يباغتها بجملة من الأسئلة وصوته الخشن المرتفع:

أين أخوك؟ أين أخوك؟ أي جماعة انضم إليها؟ ماذا يخطط؟

يرفع رأسها قليلا ويصرخ مجددا:

استرخي قليلا، هيا تكلمي؟

تهمهم زينب علها تستطيع رفع صوتها قليلا:

أخي أين أنت؟

ينظر السجان إلى ساعته، الفجر يقترب ولا إجابة واضحة عما يبحث عنه، ثم يهدأ قليلا ويخرج بعض الأوراق، لكن زينب تبدو غير واعية لما يحدث، فقد أثقل النعاس عيناها، ومن كثرة ما تعرضت له خارت قواها، وأنهكها التعذيب، في هذه الأثناء يخرج السجان أوراقا بيضاء ثم يطلب منها بروية:

أبصم على هذه الأوراق حتى تستطيعي الخروج من هنا.

لم تحرك زينب ساكنا، أو تدرك التعليمة الموجهة لها. يقف جانبا ويمسك بأصبعها ثم يبصم على الأوراق الواحدة تلك الأخرى، يدفعها أرضا كشاة تنتظر الذبح هذا مصير من يطلب الحرية، مدينة تتزعمها وجوه زعموا أن الزعامة تحدث فرقا.

ينته الإكراه في غضون ساعات. فيحمل معه طريقا مشوها لا يعلم متى تكون النهاية. ما فعلته زينب ليس عن قناعة وليس بوعي كامل. استوت أقدامها على الأرض وارتخت يداها. يصعد شهيقها برعونة يكاد يقسم أضلاعها. ثم يليه زفير مختنق ببحة تطلب قطرة ماء.

يقف السجان خارجا والورقة تتدلى بين أصابعه. محاورا بعضا ممن كانوا يحرسون الرواق. لا تسمع منهم إلا همسا يتسلل عبر صمت المكان، يفرك السجان الأوراق بين يديه قائلا:

لقد تحصلت على توقيع السيدة. ما عسانا أن نكتب فيها.

الحارس: أتريد التخلص منها في مثل هذا الوقت. ثم يتقدم نحو باب غرفتها ليسرق بعض النظرات. ويواصل:

سنحصل على الكثير من المال لو.....

السجان: لو.....ماذا؟

الحارس: هون عليك دعني أكمل. يعم الصمت مرة أخرى في انتظار ما سيبوح به الحارس.

السجان: هيا تكلم.

الحارس: إنها فكرة المقايضة التي تجوب في ذهني. سنحصل على الكثير من المال لو نقايض مع...

السجان: مع من؟

الحارس: مع جماعة رضوان. فما الفائدة منها وهي مسجونة.

السجان: إنها فكرة لا تبدو سيئة. فإن كان بحاجة إليها لا مشكلة. ربما يود استغلالها في أعماله الانتحارية.

الحارس: هذا هو المغزى من الموضوع. هل أنت موافق؟

السجان: نعم موافق.

الحارس: إذن أترك لي الباقي. سأتصل به ونحدد الثمن، ونضبط موعد التسليم.

تشرق الشمس ويتجلى كل شيء، فتتسلل أشعة قصيرة عبر ثقب في الجدار، مرسلة بين أحضانها رائحة الحرية التي غابت عنها، تحاول أن تحمل جسمها المثقل لكن من دون جدوى، فتسحبه بهدوء نحو تلك الأشعة اللامعة،

وتحاول فتح عينيها متورمتين. تحاول مرارا وتكرارا فيخطفها التعب والإرهاق، يميل جسمها مرة أخرى نحو الأرض فتغوص في النوم علها تجد الحرية.

قبل نهاية الدوام داخل السجن، ينطلق السجان نحو مكتب المدير حاملا معه الورقة، معلقا أمالا كبيرة على كسب بعض المال ونجاح المهمة، بل التخلص من السيدة نهائيا. يجتمع الإثنين في نقاش يحاول كلاهما فهم الآخر، في حين لم يستطع المدير إبعاد نظراته التي راست على إحدى العناوين، مما زاد السجّان حيرة وارتباك حول موضوعه، فيقاطع نظراته بسؤال جريء:

ما الأمر يا سيدي المدير؟ أراك مشتت الذهن هل باستطاعتي مساعدتك؟

تتملص نظرات المدير عنوة ليقف من مكانه ببطيء قائلا:

يظنون نحن هم المجرمون، لكن ترى كل واحد يستغل الوضع لكسب مآربه الجشعة.

عفوا لم أفهم قصدك؟

يغير المدير الموضوع بسؤال قائلا:

كيف حال السيدة؟ وكأن حالها يهمه منتظرا إجابة السجان

إنها بوضع يساعدنا على جمع معلومات حول أخوها عبد الله.

يرفع المدير الجريدة ثم يرميها أمامه متحدثا عن صمعة عمله، ثم يواصل كلامه:

اقرأ جيدا هذا المقال ومن كتبه، تعتبر حرية الصحافة هي تغطية كل ما يحلو لها، ولقد مرت أشهر عديدة ولم تغير رأيها أو تنسحب، عما تبحث عنه هذه الصحفية؟

يقاطعه السجان قائلا:

أراك مرهقا قليلا، لا تقلق سأهتم بما يحدث داخل السجن.

يبدو من كلامه أنه يلمح للموضوع، أو يلفت انتباه المدير رغبة منه في تخفيف الضغط المنتشر على طاولة الحديث، فتستقر الإجابة على مسمع المدير، ليرد عليه في لهفة لمعرفة ما يخفيه هذا السجان قائلا في تعجب:

ستهتم بما يحدث داخل السجن؟ وماذا يحدث؟ تفضل

يسحب السجان الجريدة جانبا، ويفتح الموضوع على مصراعيه بعدما ركب القليل من الجمل قائلا:

لقد سألتني عن حال السيدة، نعم هي بخير ولكن.....

ولكن ماذا؟ أكمل

ولكن نود أن نستفيد من وجودها.

كلامك غريب بعض الشيء، هل أنت تمزح أم ماذا؟

بهدوء ستفهم كل ما أقصده، لدينا خيار واحد هو عقد صفقة مع جماعة رضوان مقابل الكثير من المال.

وهل لديك علاقة بهم؟ وكيف ستنجح هذه الصفقة؟

سيكون من السهل لو اتفقنا، وسأنجز ما يجب عليا إنجازه بحذر.

تتغير الأجواء داخل المكتب، ويرسل المدير ابتسامة عريضة تدل على موافقته، فينطلق السجان لإتمام مهامه.

الواقف على فوضى التزيف

الكل يتمعن بين رحيل شخص وقدوم آخر، وينتظر أن يحل اليوم الموعود، فتتغير الأقنعة ويسقط الإقناع في وحل النشوة، التي تصعد على أعتاب المدينة كسجارة في يد صاحبها، تشتعل الأعماق أكثر، والوضع في عناق دائم مع بقايا الأجساد، منصتا إلى الموسيقى الصاخبة التي يحدثها القادمون من الخلف في ثوب التنكر، تختلف الأنغام وتختصر البدايات، يكاد الضباب ينقشع لكن يزداد الصدأ على الجبين، وتنتشر رائحة الفزع حول ذلك الكرسي الحديدي، بأي لغة يتكلم، في حدود الزمان والمكان يختفي، كيف؟ ولماذا؟

إنه الشهر الأول في السنة الجديدة، صافرة الرحيل أو الابتعاد يحضر لها العم فرحات، ينهي حلقته بعد أن أجهد نفسه ظنا منه أن فلسفته تعيد الأمن وانفتاح العقول، لكنه خيب ظن من وثق به، وبسط جدلا واسعا وسط كل الشرائح حين رتب لصراع آخر حول ذلك الكرسي الحديدي، وفتح الأبواب في وجوه الطامعين له، يقصد الشيخ محمد ورضوان، وقبل ختم ورقة التخلي عن كرسي الصراع وعن المدينة، يهاتف الشيخ محمد:

ألو، مرحبا

مرحبا فرحات، يلغي كل الفوارق الزمنية بينهم، ومن دون إطالة و كأن الاتصال أزعجه:

ما حاجتك بي؟

أنا بحاجة إلى راحة طويلة

ماذا تقصد؟

ما عدت أستطيع تحمل كل هذه المآسي، أشعر وكأنني المسؤول الوحيد عما يحدث في المدينة.

يضحك الشيخ محمد باستهزاء:

ومن يكون يا ترى؟ قناعتك لا ترميها في قلوب الأبرياء، وتعبث بمشاعرهم كالغصن الميؤوس منه.

ما لي أراك تتهجم عليا بهذه القسوة.

أخيرا قررت الابتعاد، هل وفيت بما كنت تدعيه وتؤمن به؟، لكن ليس بعد أن.....

يقاطعه العم فرحات:

ليس بعد، ماذا؟

لا شيء، سنرتب كل ما ينبغي له خلال هذا الأسبوع.

يشك العم فرحات في لهجته التي تتغير بين الرعونة والليونة، وفي نفس الوقت تراه يحاول الاتصال بالآخرين علّهم يجتمعون في أقرب وقت.

يشرب القليل من الماء ثم يتريث لإمضاء الورقة، يفكر بجدية كيف يعلنها أمام مواطني المدينة، كأنه يشعر بقرب أجله أو ما شابه ذلك الوجع الذي

يسكن أركان مكتبه، أخيرا يمضي الورقة ثم يهم بالخروج، لا يدري أي طريق سيسلكه أو أي منزل سينزله.

يبتعد قليلا في الطريق المؤدي إلى موقف الحافلات، اسود كل شبر فيه لما طاله من تفجير، يحدق فيه مطولا ثم يعود إلى مكتبه حيث لم يخبر حسين بذلك، ربما سينزعج منه أو يجده قد غادر إلى منزله، لحسن الحظ مازال يكمل بعض الملفات الناقصة، يرمي نفسه على تلك الاريكة ثم ينادي على حسين:

تعال يا حسين، هل مازلت لم تنتهي بعد ام أنك ألفت العمل إلى هذا الوقت؟، لدي أمر واحد أود أن أشرحه لك. ربما لم تجده في تلك المذكرة التي منحتك إياها.

يجلس حسين في الجهة المقابلة له منصتا بشدة طمعا في فهم لب الصراع القائم.

يا حسين ستنتهي مهمتي بعد أيام قليلة فقط، وتأكد جيدا أن ما قمت به كان من أجل هذه المدينة، لكن الأصابع التي تحركنا في الوسط الغامض هي الحاجز الصلب نحو عودة الأمن، لقد أمضيت الورقة وفتحت لكم الباب

أمامكم لكسب الرهان في هذا الصراع. ويمكنك السباق نحو الكرسي الحديدي.

ما تقصده هناك إملاءات تضطر إلى تنفيذها من جهة، ومن جهة أخرى أنك أنهيت مهامك.

إنك سريع البديهة، أو أنك قرأت المذكرة وفهمت ما كتب فيها.

لم أنتهي منها بعد.

إذن، إليك بهذه القاعدة واحفظها جيدا: لا تدر ظهرك لأحد، ولا تصدق ما يقال إلا إذا عشته.

لقد تعبت كثيرا، فبعد الانتهاء من ترتيب الملفات، يمكنك الاتصال بالصحفية فاطمة أود أن أنزع اللبس عن مسيرتي، وأفسح المجال مجددا لمن يطمع في الكرسي الحديدي.

تسقط القضايا الثلاثة، بل عدة قضايا على وتر واحد، وتتقاطع في مدينة واحدة منتظرة مرور العشر العجاف، تتحرك أنامل الصحفية على مفاتيح الكمبيوتر بثقل كبير، تعبر عن النهايات الغامضة التي تسكن في كنفها، فتفتح أمامها الملفات التي باتت تجمع في طياتها شهادات منسية، وتطمح كل يوم في

احتوائها وفهم مجرياتها، عبد الله وزينب عنوان لعائلة جرها الصراع نحو المجهول، قبل إغلاق الكمبيوتر يفاجئها رنين الهاتف:

ألو مرحبا، من المتصل؟

أنا حسين، لا أطيل عليك كثيرا، إن السنوات لا تختلف فكلها متشابهة فيما يحدث، لكن نحتاج إلى ثقة كبيرة فيما سيأتي.

أفصح عما تقوله؟

إن الانتقال لابد منه.

أي انتقال تتكلم عنه؟

سيسلم العم فرحات مفتاح المدينة لأي شخص يفوز بالكرسي الحديدي، وإنه يسمح بإجراء سباق جديد لمن يرغب فيه.

هل أستطيع أن أكلمه؟

عذرا، يبدو أنه متعب قليلا، يمكنك الحضور لتغطية الحدث على المباشر في الأيام القليلة القادمة.

شكرا يا حسين.

لم تفهم فاطمة ما يحدث حول العم فرحات، وكيف يتحرك بهذه الطريقة الغريبة، أو أن الوضع المتأزم جعله ينسحب ببطيء، تحدق في تلك الصور المحشوة داخل الملفات، فالغريب أيضا أنه لا أحد استطاع أن ينظر في عمق الأحداث من مختلف الزوايا أو من أقرب الأماكن إليها.

يتحرك العم فرحات نحو الممثل الرئيسي لإلقاء آخر الكلمات من ورقته التي تتهيأ للبوح بما تحمله، في حدود الساعة العاشرة صباحا اكتظ المكان بمواطني المدينة، وارتفعت الأهازيج والشعارات المختلفة، وهناك من بقي يترقب الحدث خلف شاشة التلفاز، يسرع السيد موسى وهو يرتشف آخر ما بقي من فنجان قهوته للإنصات لما سيقوله العم فرحات، يؤكد في قرارة نفسه أنه يفهم لغته، وأحيانا يحاول فهم بعض الكلمات الدخيلة التي تفرض نفسها، فقد أنهى دراسته منذ خمس سنوات ولم يسعفه الحظ في الحصول على وظيفة راقية، وكان يحصل على راتبه من العمل بمقهى سي بوعلام، الذي تجاوز الثمانين سنة ذو الشارب الأصفر، كل يوم يجلس في تلك الزاوية يستحضر ما عاشه إبان السنوات الماضية، يقلب صفحات الجريدة على العناوين التي تهمه، مع استراحة مسائية ينضم إليه السيد موسى ليتجاذبا أطراف الحديث.

كم هذا غريب يا سي بوعلام؟

ما الغريب في الأمر؟ أراك غير قادر على استيعاب الوضع، أو أنك تريد التوقف عن العمل.

لا، ليس هذا ما أود قوله؟

ربما تشفق على حالي.

يبتسم قائلا:

أتعلم يا سي بوعلام أن حالك أفضل من حالي، فلا تيأس أو تنتظر شفقة من أحد، أطال الله في عمرك. دعني أسمعك آخر الأخبار، إن المسؤول عن وحدة المدينة العم فرحات قرر الانسحاب من أداء مهامه وفتح باب الصراع من جديد، فمن يجلس على ذاك الكرسي الحديدي.

وهل أنت مندهش أو أنك لم تكن تتوقع حدوث هذا؟

يصمت قليلا ثم يرد عليه:

إني أرى في الأمر تعدد الراغبين في السباق، واختلاف وجهات النظر يطرح عدة تساؤلات.

أصبحت تفقه في اللعبة، ليس سوى لعبة قدرة فاحذر منها.

يرد عليه مبتسما:

سأستعد لها فلا تخف.

يعود موسى إلى تنظيف الطاولات، وجمع ما بقي من القهوة المطحونة في إناء كبير، ليغادر باكرا نحو منزله متمنيا الفوز بالكرسي الحديدي.

ينتشر الخبر بين صفحات الجرائد المختلفة العناوين، تتزين بصور العم فرحات، فتتهاطل التعليقات والنقاشات الحادة، وتتباين المواقف من بعضهم، فقد أهاج الخبر مشاعر المعارضين، فسارعوا إلى عقد اجتماعات طارئة.

يضع الشيخ محمد ورقتين على مكتبه، ثم يتجه نحو النافذة ليزيح الستار الأسود، فيشد نظره سيارة تركن على الطرف الآخر من الرصيف، إنه رضوان وجماعته، تتقطب جبهته متسائلا:

ما الذي جاء به في مثل هذه الساعة، كم لا أرغب في رؤيته وبالضبط اليوم، ربما جاء يلومني على عدم إخباره بالحدث؟

يراه يحمل في يده جريدة مطوية، يفهم الوضع جيدا فيسرع إلى تحضير ما يمكن مناقشته، كما كان متوقع ها هو يطرق باب المكتب عدة طرقات مزعجة لا يكاد يتوقف عنها، يمد خطواته في قلق وهو ينادي عليه:

انا قادم، لقد أزعجتني يا لك من متعجرف، يفتح الباب مرددا:

لا تتغير، فأنت كما عهدتك ذلك المتعجرف. تفضل بالدخول

يقترب من المكتب ثم ينحدر قليلا واضعا يده عليه، والجريدة تئن تحت أصابعه قائلا:

لماذا لم تخبرني بالأمر؟ أو أنك تخطط لشيء ما؟

ظننتك تفهم ما يجمعنا، هناك طريق نسلكه والأوضاع لا تخدمنا، إن الوصول إلى ذلك الكرسي يتطلب منا التحلي بالصبر، والجواب على سؤالك هو أنك سيصلك ما تود معرفته عاجلا أو آجلا، ثم يواصل قائلا:

أترى أن ساحة الصراع فارغة الآن، والهدف أمامنا مباشرة من الاحسن ان لا نتركه يهرب منا.

أفرغ ما في جعبتك، وكيف لنا أن نصل دون إحداث فوضى؟

هناك طعم متاح،

أشرح أكثر.

انتظر قليلا، ثم اخرج صورة السيد موسي من درج مكتبه، انظر جيدا.

من هذا السيد؟ وما حاجتنا إليه؟

إنه السيد موسى، سنسعى إلى تنصيبه المسؤول الأول في المدينة، قد يساعدنا في فتح الطريق نحو المقر الرئيسي عن طريق التقرب إليه.

نتقرب إليه للحصول على مصالحنا، ونجعل رؤيتنا مشابهة لرؤيته وهكذا نتوافق في معظم مشاريعنا.

إنك تتطلع إلى المدى البعيد، أحسنت القول.

الان اجلس واسترخي، ودعني أكمل كلامي.

كيف ترى في شخصية السيد موسى؟ وهل سيوافق على توليه هذا المنصب؟

يجب أن يتحرك كما نأمره بأسلوبنا، وبالمقابل لا نجعل المسألة محل أنظار الغير وخاصة الصحافة، وأنت على دراية بالأمر.

سؤال أخير أو أنه تفتيش عن ماضي السيد موسى:

كيف تعرفه؟

كان أحد الأسماء العابرة على حياتي السياسية، التقيت به مرة واحدة فقط، يقاطعه:

مرة واحدة؟ يا للعجب وكيف تثق به؟

ليس الثقة وإنما الذكاء في تمرير أفكارنا، والعزف على وتر واحد يحدث فرقا كبيرا، إن لم تخن ذاكرتي التقيته بمقهى.... تذكرت مقهى سي بوعلام، ودام ذاك اللقاء أكثر من نصف يوم.

وهل يمتلك الميزة التي يتمناها مواطني المدينة في شخصه لكي يعيد لهم الأمن؟

أنتظر أن يعود الأمن بنفس التوجهات التي يفرضها هذا المحيط، بل تحركها الأيادي الخفية؟ نحن سنعمل من أجل فرض أسلوبنا وتغيير هذا النمط الذي يستفز الصغير قبل الكبير.

لقد اقتنعت فدعنا نبحث عنه.

لا تتسرع، غدا صباحا، سأتجه مباشرة إليه واقترح عليه الموضوع، بل سأقنعه بذلك.

بين أزقة المدينة وعند الشارع الأول بعد أن تجاوز مفترق الطرق، تتبادر إلى مخيلة الشيخ محمد عدة احتمالات، وترتمي في أحضانه نقاط مستفزة، فيطلق العنان لحوار يجاريه طوال المسافة قائلا:

أنا أعلم تماما ما أفعله، لقد اقتربت من هدفي فهل يمكنني الإعلان مسبقا بأنني الفائز؟ ويا ترى هل يقبل السيد موسى بما سأقترحه عليه، ليته يقبل ذلك. ينتابني شعور الخوف من السيد رضوان، ربما هو قلق فقط تبا ما هذا التشتت الذي أغوص فيه؟

فجأة يسمع دوي انفجار خلف المنازل المتراصة، فيختبئ في إحدى الزوايا التي تعانق المكان الشبه خال، كان وجهه مترعا بالخوف، وعيناه تفتش يمينا ويسارا عن مسلك آمن، الكل هرع نحو مكان وقوع الحادث، ثم ينطلق مجددا بخطوات متسارعة عله يصل إلى وجهته في أقرب وقت. ينتشر الدخان في سماء المدينة، ويعم كافة الارجاء كأنه ضباب في فصل الشتاء، او صباح يحتفل مع نسمات الفجر قبل طلوع الشمس، وما زاد انتشاره سرعة الرياح التي تهب في جهة الشمال، تصيبه كحة وضيق في التنفس فيهرول بسرعة إلى أن وصل إلى باب المقهى، ينظر مباشرة إلى ذلك الشخص المستدير نحو آلة عصر القهوة، تبدو قديمة بعض الشيء أو مرت عليها سنين عجاف قائلا:

كأس ماء من فضلك، لقد أصابتني هذه الكحة على حين غرة.

يقدم له السيد موسى كأس ماء دون مبالاة للوجوه التي تتكرر عليه كل صباح، ويواصل عمله بترتيب الطاولات.

يتقدم الشيخ محمد نحوه بخطوات متثاقلة ويباغته قائلا:

السيد موسى، السيد موسى، كيف حالك؟

يرفع رأسه قليلا وبتمعن شديد يبتسم، ثم يستقيم في وقفته قائلا:

الشيخ محمد، الشيخ محمد، إنك هو لم تتغير، ثم يسحب الكرسي باتجاهه:

مرحبا بك تفضل لا تبقى واقفا. إني لا انتبه كثيرا للوجوه التي اعتدت عليها، لكن من حين لآخر تحل عليا وجوه أخرى جديدة.

انت تمزح يا موسى كيف لا تنتبه إلي، قلت لم تتغير؟ عجبا كل من يعايش هذه الأوضاع يتغير، وإن لم نتغير أهدافنا تكبر.

أرجوك توقف يا محمد، لا تكلمني عن الأهداف، كل يوم يمر أسوأ من الآخر، والصراع باق ينخر عقول الباقين على قيد الحياة، ولن يحدث أن يتفقوا حول مصير المدينة.

إنك تدخل صلب الموضوع ألا وهو مصير المدينة، ولهذا جئت إليك.

يتجه السيد موسى مباشرة نحو من يناديه، وتتعلق الكلمات في فم الشيخ محمد، يلغى الحديث لدقائق قبل عودته. فتتطاير نحو مسامعه كلمات " سوف تقوم الفوضى" عدة مرات من أفواه أشخاص يتناقشون بعض الأسباب فيما يرتسم الحذر على وجوه العامة.

يتحرك الشيخ محمد من مكانه قليلا فيلحق به السيد موسى قائلا:

عفوا كنت تتحدث عن مصير المدينة أكمل.

لا يا موسى، سأكمل بعد ان تشرح لي ما سمعته منذ قليل عبارة " سوق تقوم الفوضى" هل من أخبار مؤكدة حول ذلك؟

تعلم جيدا بأن الوضع لا يوحي بالطمأنينة فكن مستعد لأي وضع جديد.

جئتني بموضوع فأصبحنا نتحدث في مواضيع جانبية، سأعيدك إلى السكة لتكمل ما بدأته أنفا.

تشتبك أصابع الشيخ محمد كأن الموضوع يهرب منه، أو لا يدري أي جمل يستعمل لإقناع موسى:

ما قولك لو تتسابق نحو الكرسي الحديدي.

كيف ذلك؟ ولماذا تريدني انا بالضبط؟ ألم تجد شخصا آخر لذلك؟

يتنهد الشيخ محمد ثم يقاطعه:

ليس كما تظن، بل انا أثق بك لأنك اهل للمسؤولية.

تشتعل مشاعر السيد موسى نحو هذا الهدف، فيخفي ملامح الدهشة واللهفة معا، ويؤجلها إلى ما بعد الجلوس على الكرسي الحديدي. ثم يمسك يد الشيخ محمد ويضغط عليها قليلا، وتنفرج شفاهه بابتسامة عريضة توحي بحاجة في نفس موسى، يمد الشيخ محمد يده الأخرى ليكملا معنى المحبة، ويرسما صورة تدل على وصول المغزى من حوار قصير. يتمنى موسى أن تنتهي هذه الدقائق، يجلب حوارا آخر قد اختنق تحت لسانه قائلا:

من سيعلن عن قائمة المتسابقين؟ أو لديك طريق مباشرة إلى هناك "يقصد المسؤول الرئيسي "

لا تقلق، سأباشر بالاتصالات مع صديقي السيد رضوان. وأنت لك موعد معنا بعد يومين فقط فكن جاهزا لذلك.

أتعلم يا شيخ محمد سأبارك لك فكرتك، وأتمنى أن يجلب هدفنا الأمن لهذه المدينة.

ينتشر الخبر في الجهة الغربية من المدينة حول شغور الكرسي الحديدي، فتقرع الطبول طلبا في المساواة، أين يتسلل النزيف الأسود بين الجوارح، ويمتزج بشرارة الأفواه التي تتعالى أصواتها بين مد وجزر، كما تتسارع رغباتهم نحو الغوص في أعماق الفوضى. ينضم إلى السيل الجاري "يقصد المسيرات" مختلف مواطني المدينة، ليجوبوا الشوارع قاصدين بشعاراتهم التي تنحني أمام طول الطريق، لا عودة إلى الهدوء حتى تقبل مقاصدهم، يتخطون بين الحشد الطويل بخطوات متسارعة، يرفضون التوقف بل هو سباق مع الزمن، ويركض الباقون جنبا إلى جنب، خوفا من سقوط رايتهم العريضة التي تتسع عرض الطريق، إنهم أربعة رجال ممن يرغبون في ركوب الوضع، ونيل شرف الجلوس على ذاك الكرسي الحديدي، ورسم صورة أخرى على ضفاف القلوب الثائرة، ثم ردع الضمير في آخر لهفة تضمه، فتأجج فيه لفحة النزيف المتراكم قبل الإعلان عن المسؤول الأول لحماية المدينة.

على مدار أربع ساعات والحناجر لا تتوقف، يتمركز الرجال الأربعة في الصف الأول دون ملل، وتتشابك أيديهم حول الراية العريضة، تتنافس في

زحام يختلف عن مؤخرة السيل. وأكثر من ذلك كانوا يوزعون عبارات تزداد حدة ويتضح مفهومها، يتبعونها بطرح قضايا متفرقة متأكدين بأنها غير عادلة، يتلفظ أحدهم بعبارات الأسى حول السيدة زينب مستطردا:

يا ترى ما مصير تلك السيدة؟ وهل ترضون بنفس المصير؟

ثم يقاطعه الآخر يحمل على كتفه قميصه المبلل بالعرق قائلا:

من منكم راض عن هذا الوضع الذي تنبعث منه رائحة الصراع؟ هذه الرائحة النتنة التي نتنفسها كل يوم، بل كل دقيقة، فيكبر الخوف بداخلنا.

من بين الحشد تتدافع الصحفية فاطمة علها تصل إلى مقدمة السيل، لترى بأم عينها ما يحدث وتسمع من خليط الألفاظ جملا مفيدة، إنها حقيقة لا مفر منها. يزداد التدافع ويكبر السيل فاختفت الأرصفة واختنقت الطرقات، ما من أحد يريد إيقافهم حتى يصلوا إلى مقر الممثل الرئيسي للمدينة. في هذا الوقت يحاصرون حافلة نقل المسافرين ثم ينزلون الركاب الواحد تلوى الآخر، وأفواههم التي لا تتوقف عن الصراخ ترسم مع الوجوه المقطبة لوحة تفيض حمم، في مقدمة الحافلة يصرح شاب في العقد الثالث قائلا:

هيا أسرعوا، هيا أسرعوا، من منكم يريد الموت بين ألسنة اللهب؟

من شدة الفزع، يندفع الركاب بشدة فمنهم من تأذى ومنهم من قفز عبر زجاج النافذة والدماء تنهمر منه، إلى أن أصبح الوضع تحت سيطرتهم، لم يستطع أحدا التجمهر حول الحافلة، إلا بعض الشباب الحاملين قارورات البنزين وولاعات، الأمر يخرج عن السيطرة فالنار تلهب كل المخارج، وتأكل كل قطعة فيها. اسود المنظر وسقط الرماد يأسا بين بقايا الحافلة، وهم الكل مغادرا المكان. تسحب الصحفية فاطمة نفسها إلى الخلف وقد تصلبت نظراتها لهول المشهد، في حين كان الكل يصطدم بها علها تفيق من غيبوبتها أو تتذكر شيء ما، فجأة تسقط حقيبتها فتعود إلى الواقع المشؤوم لتحملها في اضطراب وتحمي نفسها من الأذى. لكن لم يكن الأمر بالسهل بتاتا، قد لاحظها هؤلاء الشباب فيما بقي أحدهم يلاحقها بنظراته السوداوية، تنتبه إليه فتمد خطواتها بسرعة نحو الفوضى غير مبالية به. وتتخطى دهشتها وتسحب نحوها عناوين كثيرة لهذا المشهد. على غير العادة تغمرها مشاعر الارتباك حول تفاصيل وحقائق تكتبها. ها هي تتجنب مرة أخرى نظرات الغضب من شاب، يريد أن يزيحها كما ازاح باب المحل، أو يغير فيها تعابير بألوان السواد المستمر قائلا:

توقفي عن مطاردة الأحداث. فقد سئمنا من كتاباتكم. ثم يأخذ ما كانت تحمله عنوة ويرميها أرضا.

تملكها الخوف ولم تتفوه بكلمة. بل تراجعت قليلا إلى الخلف، ليواصل التهكم عليها ووصف مهنتها بأبشع الصفات، أرادت أن تجمع أشيائها لكنه وقف سدا منيعا بالاعتداء عليها وإصابتها في أنحاء متفرقة من جسمها. فخارت قواها وسقطت أرضا. خلف جدار منهار يحاول ذلك الصحفي وهو يحمل معداته بنقل الحقيقة صوتا وصورة. راح يتخطى بقايا الأشياء المحروقة مستنشقا منها روائح اختلطت بالدخان المتصاعد. تزداد قوة كلما اقترب أكثر فأكثر، لم تمض على تحركاته الحذرة بضع دقائق. حينها يلمح السيدة زينب ملقاة على الأرض تئن من شدة الكدمات. فيوقف البث المباشر ويضع ما كان يحمله أرضا. وبسرعة يتخطى الباقون في ساحة الفوضى، متجاهلا أصواتهم إلى أن وصل إليها، يسألها بعطف واضح في كلمته:

هل انت بخير؟ دعني أساعدك على الحركة.

تفتح عينيها جيدا على المنظر المحيط بها. تريد الحركة فلا تستطيع. ثم ترد عليه:

خذ بيدي اليمنى سأحاول أن أقف. لكن ساقي تؤلمني.

انت قوية لا تفكري في شيء سوى أنك نجوت بأعجوبة.

ينهضان معا وبخطوات متثاقلة يقتربا من سيارته على بعد الرصيف المقابل. يضعها بالسيارة ويحمل كل ادواته وينصرفا. يبتعدا عن ساحة الصراع وفي جعبتها الكثير لتكتبه. فتختلط الأسطر بآلام جسدها الذي يحاول المقاومة. بل تحاول النهوض في الساعة المتأخرة من نهار اليوم المشؤوم. بعد أن أوصلها صديقها إلى منزلها. تتنهد ثم تستحضر بعضا من مشاهد السيدة زينب تتصور كيف ستكون نهايتها بعيدا عن أعين وأفكار الجالس على الكرسي الحديدي. تريد ألا تتوقف على هذه السكة وألا تحيد عن مبتغاها.

فيما يواصل الأربعة تقدمهم مع صف الصفوف وحشدها بأصواتهم الصاخبة، تتطاير الأخبار على جناح السرعة إلى الشوارع الأخرى، فيسارع ساكنيها إلى توخي الحذر وغلق ما يمكن غلقه، ثم الاختباء أو الانضمام كجسر آخر نحو المقر الرئيسي، توزعت الأدوار بين الشباب فمنهم من يستولي على ممتلكات الغير، ومنهم من يخرب بكل عفوية وحرية، ومنهم من يتبادل أطراف الحديث بسخط كبير غير راض عن وجوده في هذه المدينة قائلا:

تبا النزيف على الأرصفة، والحكم في الأظرفة، إلى متى؟

ثم يضرب بقضيب حديدي على باب محل كادت جدرانه تنهار، لينادي عليه أحدهم في حركة غريبة كثور هائج:

هيا أسرع إني أسمع دوريات شرطة قادمة سنواجه صراعا آخر.

ينادي مرة أخرى: هيا أسرعوا، نحن بدأناها نحن ننهيها.

جملة تتكرر في كل خطوة يخطونها، تختلط باستفسار من أحد العابثين بزجاج المحلات القريبة من الرصيف:

هل نستطيع الوصول إلى المقر قبل وصول الشرطة؟

لن ننتظر طويلا سيقطعون الطريق من كل جهة. دعونا نفترق حتى لا نسقط في أيديهم.

بل طالما الصراع قائم بين من يجلس على الكرسي الحديدي، فلن يهدأ لنا بال، ولن نشعر بحريتنا التي قايضوها مقابل نجاحهم.

بعد ساعات طويلة هبت كزوبعة تضم إليها الأخضر واليابس، استطاع الغاز المسيل من قاروراتهم الصغيرة أن تشتت الجمع وتسيطر على الوضع، في الحين تم القبض على بعض المشاركين،

ينقشع الضباب في حلته الجديدة ولونه الأبيض الناصع يسر الناظرين، ويسحب بين فراغاته اسم يطفو إلى السطح فتتجه نحوه الأنظار، ليواجه أمام عتبة مقره صراع المدينة، حاملا معه أولوية تهدئة الوضع المتأزم والخروج مما صنعه المغادرين عبر الباب الضيق، كم كان الانتظار طويلا فانطلق يبحث بين رفوف الوقت عن ساعة الحسم، توقفت عقاربها على السيد موسى وهو يجلس على ذلك الكرسي، حقا إنه يجلس جلوس الكرام. تدغدغه مشاعر السلطة كقنينة عطر أجنبي يخاف أن تنكسر في وجهه، وتنهال عليه التبريكات من كل صوب وحدب، كان أول المبادرين لذلك الشيخ محمد فجيء في تهنئته:

"بصادق الود والاحترام، وبمناسبة جلوسكم على ذاك الكرسي، أهنئك من صميم قلبي، وسأكون سندا لكم في البحث عن مفتاح المدينة"

يتساءل عن حقيقة هذه المصطلحات المعروضة أمامه. هل في جعبته القوة لفهم ما تعنيه أم أنها كلمات مستوحاة من جرأته التي يخفيها. لكن السيد موسى يتعارض مع محتواها بما يملكه من قرارات تفتح أمامه لعبة الشطرنج يكون فيها هو الملك. يتجاذب أطراف الحديث مع ضميره المتكلم أنا. ويستعد لسحب بساط من تحت الاقدام طال الوقوف عليه. هذا البساط الذي اتسخت الوانه وتمزقت أطرافه. فجمع المعنيين بمغادرة المقر الرئيسي وأخذ بأيدي يثق فيها. ورسم دائرة مفتوحة على مطالب الشعب ليوقف الاختلالات التي تركها المستقيل من قبله. وما زاد من نشوته وقوفه بين معارضيه يستمع إلى لغوهم. فابتسم في وجوههم ثم أخذ يقرأ عليهم خطاباته تارة يستدير وتارة تشتد لهجته. أما الشيخ محمد حجز مكانه بين المراقبين لحركاته. يريد استغلال الفرصة الحاسمة ليقترب أكثر إلى نقطة انطلاقه. ولكنه لم يكن على دراية أن السيد رضوان هو أيضا يراقب كلاهما في نطاق هذا التجمع الكبير.

مع تصفيق الحاضرين ووقوفهم. يقترب السيد رضوان خطوتين باتجاه المنصة فيلمحه الشيخ محمد لينطلق إليه بين الجموع ويباغته من الخلف قائلا:

مرحبا رضوان ما أنت فاعله؟ ليس المكان والزمان المناسبين.

يستدير رضوان وكأنه لم يسمع شيئا من كثرة الهتاف والصفير الذي يعم القاعة. ثم يبتسم في تعجب قائلا:

الشيخ محمد. ظننتك لن تحضر هل قلت شيئا؟

نعم ما عساك تفعله. اجلس.

ثم يسحبه من يده ويجلسان

رضوان: أتحسبني مغفلا كيف يمكنني أن أقدم على ارتكاب خطأ على مرأى من هذا الجمع.

الشيخ محمد: توخى الحذر وأترك الأمر سنعالجه بطريقة أخرى.

عما تتحدث.

الشيخ محمد: أترى السيد موسى. قد بسط جناحيه واختار من يحيط به. إنه لا ينظر إلينا ولا يكلمنا. أصبحنا غرباء في دائرته.

إنك على حق.

بعد ساعة من الزمن. ينهض السيد موسى مثقلا بالمسؤولية الملقاة على عاتقه. ثم يستدير نحو باب الخروج من الجهة الغربية. في هذه الأوقات يحاولا

الاثنان اللحاق به بين الحشد. فيقطع طريقهما حركات الجمهور. يندفع السيد رضوان قائلا: تبا.

الشيخ محمد: لا تيأس لدينا فرص أخرى.

تتمرغ الكلمات التي تريد الخروج من خلف الشفاه، على وتر واحد وأحداث متفرقة، فكان المرور من خلالها يزيدها إرهاقا، كلما أرادت أن تختار إحداها التي لا يشوبها خجل، فأصبحت المعادلة صعبة لا تستهوي الجالس على ذاك الكرسي، وإنما كل واحد يقر بأن الصراع مستمر، والغاية من جل المقالات رسم مسار نحو تفاصيل واضحة.

تتثاقل الصحفية فاطمة بخطواتها نحو حزمة الجرائد وضعت بطريقة عفوية، تتحايل على الوضع خوفا من اندثارها، كم كان صعب اختيار العناوين بدقة، في كل مرة تتلقى تهديدات بمختلف الطرق، تنتشل قلمها الساكن خوفا مما ستكتبه هذه المرة. وتفرط في أحاسيسها التي تعج بأسطر ترتبت على مضض، كانت في بدايتها سهلة المنال، لكن عند الغوص في توضيح معانيها يتبعثر ترتيبها، في حدود تاريخ الحدث احتاجت إلى ذاكرة قوية، فاشتد قلقها

كما اشتد صمتها وهي تتصفح إحدى الجرائد، يتراكم شغفها لبداية المقال محاورة نفسها ويدها يرتجف على الورقة:

السيدة زينب وأخيها عبد الله عنوان من رحم الصراع، المنعرج الأخير في كتاباتي ربما يفهمها الجالس على الكرسي الحديدي.

تقف قليلا، تحاول الهدوء كشمس تظهر من بين السحب ثم تختفي، لا تريد أن تكون حلقة أخرى تشتعل من بينها النيران، فبعد دقائق معدودة استطاعت جمع أسطر خفيفة عميقة الفحوى، ترفع رأسها نحو السقف ثم تبتسم، وفجأة تسمع صوت رسالة نصية فتتوقف ابتسامتها وتهرع نحو هاتفها، لم تكن تنتظر أي اتصال أو أي رسالة من شخص، في وسط بقايا أفكارها تضطرب مرة أخرى وهي تقرأ الرسالة قائلة في دهشة:

العم فرحات؟ لم أفهم ما يقصده من هذه الكلمات المتفرقة، كأنها أحجية أخرى تطفو نحو السطح.

تضع هاتفها جانبا وتحاول إعادة قراءة الرسالة مرارا وتكرارا، ثم تخاطب نفسها:

كنت على يقين بأن الوضع سيسوء أكثر، بل هناك وجوه أخرى لا تظهر للعلن تفتح أبوابا مشبوهة، بل تعمل على بقاء الصراع في المدينة.

ثم أخذت تفكر مليا في صياغة ما يجول بخاطرها، سيكون مطلبا صغير عله يستطيع مساعدتها، فأخذت تحدد الوقت والتاريخ لموعد اللقاء بعيدا عن أعين المتمردين.

يركب السيد موسى سيارته المحيطة بالحرس الجديد، دون أن يلتفت إلى ورائه او يتوقف قليلا، وينطلق الباقون إلى سياراتهم استعداد للمغادرة، فترتفع اهازيج الواقفون تحت حماية الشرطة، وتختلف كلماتهم المعبرة في حماس شديد، من بينهم شيخ هرم يكابد عناء الصراخ رغبة في إيصال رسالته، فيقاطعه الشيخ محمد:

تمالك اعصابك لن يسمعك أحد أو يرد عليك أحد، فنحن مجرد أرصفة يعبرها الفاشلون، لو سألنا الجميع لوجدنا ألف رسالة وألف حلم.

يخطف الشيخ الهرم نظرة نحوه ثم يصمت لكي يرد:

نودّ ان نسكت وأن ندوس على قلوبنا، لكن كل من يجلس على الكرسي يجرنا نحو أنفاق مظلمة، فما علينا إلاّ الوقوف في صف واحد.

يبتسم الشيخ محمد قائلا:

لن يطول أمرهم هذه المرة.

رغم التدافع والضغط يتابع الشيخ الهرم صراخه ورفعه للراية، في حين يستدير رضوان نحو الشيخ محمد قائلا:

دعنا نغادر المكان، لقد أطلنا الوقوف كثيرا.

يمر يوم شاق على السيد موسى، فبعد جلوسه بمكتبه يستعد لترتيب بعض الأولويات، وتغيير ما يمكن تغييره في خضم هذا الصراع المتواصل، لم يجد سوى تلك الوثيقة التي ينبش فيها كل من يجلس على الكرسي، يريد أن يحدد مكان آخر للنبش فيها، كان واثق من نفسه أنه يستطيع جمع المعارضين على طاولة واحدة، وتغيير نمط تفكيرهم.

في اليوم الموالي، ينشر عبر الوثيقة أمر خاضع للتنفيذ، يفيد بإطلاق جميع المساجين، فيتوزع محتواه في الصحف وعبر وسائل الإعلام، وينتشر على كل لسان راح يقرأ تلك الأسماء في شغف، كأنه باب من أبواب الحرية يفتح في صباح هادئ، إنه شهر الاستقلال الذي غابت عنه أهازيج الفرحة، والرايات المرفوعة أصبحت تتهاوى على جثث بين فوضى اللهب، ينصت الشيخ محمد

جيدا للتقرير الذي يبث عبر الإذاعة وهو يهم بمغادرة مقره، ثم يتوقف قليلا لمعرفة قائمة الأسماء المفرج عنها، يردد قائلا:

السيدة زينب، هذا مستحيل.

يعود مباشرة إلى مقر عمله والغضب يسكن محياه، ما هذا؟ كل شيء يجري عكس ما أريده، اختلطت على تعابيره أنفاس تكاد تخنقه فاضطر إلى الجلوس للتفكير قليلا، يوجه نظره نحو الهاتف ويرفعه ليجري اتصالا، يعيد المحاولة عدة مرات لكن الخط مشغول، يعيد للمرة الأخيرة ليرد عليه السيد رضوان:

ربما لم تصلك الأخبار بعد؟

ما الاخبار؟ أفصح عما تريد قوله.

لقد اتخذ السيد موسى قرارا بإطلاق سراح جميع المساجين، سأقرأ عليك القائمة.

توقف، أعد الاسم ما قبل الأخير، هل السيدة زينب من بينهم؟

نعم، ولماذا اتصلت بك إذن؟ كما لا تنسى إن تلك المقايضة لن تنجح.

أنا أفهمك جيدا، دع الترتيبات جارية ولننسحب قليلا، أو سنعمل بطريقتنا الخاصة.

لم نكن من المحظوظين، وكأنه يقف ضدنا أو يتبعنا خفية، لكن هذه المرة لن اتركه يفعل ما يشاء. غدا صباحا، سنتقابل في المقر لا تتأخر.

هل تنوي فعل أي شيء؟ حسنا سأكون في الموعد.

تترك فاطمة أحرفها على حافة المقال الذي لم يكتمل بعد، فتسقط كأسيرة بين أشعة الشمس المتسللة و حرارة الغرفة، كلما تحركت عقارب الساعة ارتفعت درجة الحرارة، و تشابهت الأسئلة حول موضوع واحد، وفي هذا التشابه لم تجد إجابة واحدة حول مصير زينب وأخوها عبد الله، تعود نحو المقال و تضع سطرين تحت كلمة تختفي وراءها كلمات أخرى، ينتابها خوف غريب يزيد من دقات قلبها، فتسقط على الكرسي وتأخذ نفسا عميقا، ثم تزيح الستار عن النافذة لتعم أشعة الشمس غرفتها، يمر الوقت وهي تتشبث بما تبقى من يوم سيكون متعب، تعلم أن إجراءات الإفراج ستطول إنه قلق آخر، ترمي بأفكارها جانبا الواحدة تلوى الأخرى، و تقاطع أنفاسها بحمل بعض الملفات والخروج نحو موقف الحافلات.

الساعة تشير إلى الحادية عشر والجو يشتد حرارة، الخوف يمتزج باليقظة على وجوه المارة، بعضها تشهد حيثيات الفوضى، والأخرى تكتب على ملامحها الخيبة وتتمنى ترتيب هذه الفوضى، تجلس على جانب الكرسي امرأة تمسك بيد ابنها، ابن لم يتجاوز العشر سنوات يداعب حبة حلوى، في حين تفوح منها رائحة العرق الذي يختبئ تحت لباسها التقليدي لا تظهر منه إلا عيناها، تخطف بعض النظرات اتجاه الصحفية فاطمة ثم تسألها بصوت خافت:

أما زالت الحافلات تعمل؟ إني أخاف أن أتأخر عن موعد الزيارة.

بلى الحافلات تعمل ربما تتأخر قليلا.

لقد أرهقني التعب، كل يومين بالأسبوع أقوم بالتنقل لمسافة بعيدة من أجل زيارة ابنتي، ولكن لم أزرها منذ أيام بسبب مرضي وابني الآخر لم يعد إلى المنزل بعد.

في أي مستشفى تعالج؟

تسكت قليلا ثم تدمع عيناها وتواصل:

ابنتي مظلومة، إنها تمضي عقوبة السجن منذ سنوات، ثم تصمت.

تقترب منها الصحفية قليلا والدهشة تحوم حولها، فتضع جملة من الأسئلة تريد الإجابة عنها في الحين.

ما اسمها؟، منذ متى وهي بالسجن؟ كيف حدث ذلك؟، ألم يحاول أحد مساعدتها؟

ترد المرأة في حزن؟

اسمها زينب و.....

ماذا تقولين؟ اسمها زينب؟ ربما تشابهت الأسماء، ومن يكون أخوها الذي لم يعد إلى المنزل بعد؟

تصل الحافلة بعد ربع ساعة ويتوقف حفل الكلام من دون معرفة المزيد، فيصعدان إليها ويجلس كل واحد في زاويته ينسج حلما.

تختلف مواقف الحافلات إلى أن وصلوا إلى الانعطاف الأخير المؤدي إلى السجن، لينزل الاثنين ويسلكا نفس الطريق، تتوقف فاطمة لمراقبة المرأة إلى حين وقوفها أمام باب السجن، لم تدرك فاطمة أن القصة على وشك النهاية السعيدة، فتلحق بها لتقاطع حديثها مع الحارس قائلة:

هل اخوها اسمه عبد الله؟

وكيف تعرفين اسمه؟

ليس من الضروري أن تعرف كيف ذلك، لكن الخبر الجميل هو أن ابنتك سيفرج عنها هذا المساء.

هل أنت متأكدة من ذلك، وتسقط المرأة على ركبتيها باكية، ابنتي لقد اشتقت إليك.

يستلم الحارس وثائق الهوية ويطلب منهما الانتظار، تنقضي ساعات طويلة يتجاذبان فيها أطراف الحديث، وفجأة تظهر السيدة زينب تجر سنين الغياب الطويل، هزيلة الجسم متورمة العينين، فتسرع الأم إليها وتضمها بقوة ليتها تنسيها عذاب الفراق. تريد فاطمة أن تسمع منها بعض الكلمات لكن للأسف لا تقوى على ذلك بل تحتاج إلى عناية طبية سريعة، فيسرعا بها إلى أقرب مستشفى في هذه المدينة.

يستيقظ السيد رضوان في عجالة متذكرا أنه على موعد هذا الصباح، يسحب المنبه باتجاهه ويفتح عينيه بشدة إنها التاسعة صباحا، يحاول مجاراة ما بقي من الوقت حتى يصل قبل الساعة العاشرة، أو لا تفوته باقي الساعات

قبل منتصف النهار، بدا مضطربا كمن يتمايل مع أمواج البحر، تراه يسرع بحمل كيس صغير ويرميه تحت إبطه، واضعا صوب عينيه مفاتيح الباب المجتمعة في حزمة واحدة، يخطف نظرة أخرى نحو المنبه ويغلق الباب وراءه بعد خروجه بروية، تتدافع الأفكار حول لسانه وجبينه المتعرق تسطع من بعيد، في غمرة من التيه يضغط على إبطه محاولا ترتيب انفعالات الشيخ محمد، وعلى هامش استعراضه القديم الذي يتجلى بين أطراف المدينة، يحاور نفسه متمنيا في يوم قريب الجلوس على الكرسي الحديدي، وبلغة جديدة سيقرأها على الشيخ محمد أنه موافق على كل مهمة، ها هو يتابع ذات الحوار ثم يغير مكان الكيس الذي تمرغ في عرق إبطه، مع مرور نصف ساعة وجد نفسه يقف أمام باب المقر حينها يستبدل تعابير وجهه المنصهرة في حرارة اليوم، ويدخل على الشيخ محمد مبتسما هادئا.

يسأله الشيخ محمد وقد حضّر مجموعة من المعلومات:

ما بال السيد رضوان مبتسما؟ أتمنى أن تكون ليلتك جميلة.

ليس هناك علاقة بين هذا وذاك، كل ما في الأمر هي أشياء نشعر بها صدفة فيتغير مزاجنا بين الحزن والسعادة.

يحاول السيد رضوان الدخول في صلب الموضوع متسائلا:

ألم يتصل مدير السجن بعد؟

لم يتصل بعد، وهناك اخبار وصلتني أن السيدة زينب تم تحويلها مباشرة إلى مستشفى المدينة برفقة أمها.

إذن ما العمل؟

دعنا من هذا الموضوع، سأكون صريحا جدا معك، أريد التخلص من السيد موسى بأي طريقة كانت. وسنختار مرة أخرى من يجلس على الكرسي.

يغوص السيد رضوان مبتعدا في حواراته السابقة، يريد أن يبوح بما يختلجه في هذه الأثناء لكنه يتردد.

يستوقفه الشيخ محمد بكل المعلومات لتنفيذ المهمة، ثم ينهض من مكانه مواصلا الحديث:

أتعلم؟ لقد اصطدمنا بجهات قوية ترفض الاستسلام، ونحن نخوض هذا الصراع لن نخرج منه إلا وأحدنا جالس على ذاك الكرسي، نريد الوصول إليه

على أكتاف ناعمة، وأظن أن ما يقلقك يا رضوان إلى أي مكان سنأخذه إليه، أليس كذلك؟

نعم بالتأكيد.

المكان الوحيد والمناسب هو البناية التي توجد في الجهة الغربية، فهي بعيدة عن المدينة لا يشك بها أحد.

الحماس يقتلني للتنفيذ، من الأحسن هذه الليلة.

يواصل السيد موسى وفي أواخر شهر الاستقلال بتوجيه جملة من الالتزامات في تلك الوثيقة تستدعي التطبيق فورا، تبدو كنقطة الصفر ينطلق منها محاولا تنظيم المسار وإبعاد المعارضين في أقواله، أقوال سيضعها غدا على الطاولة للاتفاق عليها، حلمه كعجلة السيارات التي تتوقف أمام بيته الجديد، ومروحة سقفه التي تتثاقل في الدوران تسعى إلى التأقلم مع الوضع.

الساعة الثانية عشر إلا خمس دقائق ليلا، مقبض الباب يتحرك ببطء، ثم يطرق الشيخ محمد طرقا خفيفا، لكن رضوان تسمرت عيناه على المقبض ينتظر أي حركة، من غير شك يفتح السيد موسى الباب، في هذه اللحظة لم ينتظر أحدهم سؤال الآخر، بل يدفع رضوان موسى أرضا ثم أسرع يغطي رأسه

بكيس أسود ويشده بإحكام، من دون صراخ أو جلبة يحدثها الجميع يتوجهان به إلى السيارة ثم نحو البناية المتفق عليها. لم تمضي سويعات حتى أصبح السيد موسى حبيس غرفته التي اختارها له الشيخ محمد، يمر يوم كامل في هدوء قبل أن يتملص خبر الاختطاف من أمام بيت السيد موسى، و تتوقف الأنظار على شريط الأخبار الذي يمر مرارا و تكرارا في تعب، فكلما فر الخبر مبتعدا إلا وجد من يحتضنه بين صفحات الجريدة، ترتب الصحفية فاطمة الإشاعات المنتشرة على حدود المدينة و تجعل منها حقيقة، وفي ذاك الممر الضيق من المستشفى تودع زينب على أمل الشفاء، في حين يصعد الاستنفار إلى أقصاه معلنا فراغا جديدا، فراغ يختلي بالكرسي الحديدي لتكثر المزاعم حول السيد رضوان ورغبته في الجلوس عليه.

يتلقى الشيخ فرحات مكالمة من السيد حسين، يطلب فيها مساعدته على الدخول في غمار السباق نحو الكرسي الحديدي، في غضون أربعين يوما من التحضير للاستحقاقات القادمة، يجري حسين زيارات خاطفة للشيخ فرحات لمعرفة جميع الجبهات الطامحة لذلك، يلتقيان بعد مرور عشرين يوما في مقر السيد حسين.

مرحبا سيد حسين كيف يسير عملك؟ أراك طامحا للجلوس على الكرسي.

تبدو تجربة جديدة سأنطلق فيها بمساعدتك، ألا تراني كفء لذلك؟

حسنا، لكن بالمقابل يوجد السيد رضوان انظر إلى هذه الصور.

آه يا شيخ فرحات، المدينة كلها تحتاج إلى شخص يجعل من الأمن أولوياته، أليس كذلك؟ ثم يحدق في الصور.

في قمة التنافس تمر الأيام بسرعة، تبدو هادئة مترعة بفيض من الأمل، على غرار ما كان يحدث في الآونة الأخيرة، تتباين الآراء حول المسؤول الجديد فيما يرفض السيد رضوان برنامج الذي يعد له السيد حسين، ويهيج في الأيام الأخيرة يجتمع مع الشيخ محمد في حديث مطولا.

تشتد لهجته مع الوقوف والجلوس المتتالي قائلا:

السيد حسين، حسين، حسين، ثم يمزق صورته الموضوعة على الطاولة، يهدأه الشيخ محمد ويسأله:

ألا تريد المنافسة، أم لك خطة أخرى؟ أفصح عما يدور بذهنك.

نعم لدي أسلوبي الخاص، وأنت تعلم ذلك أنه كل من يقف في طريقنا نزيحه بكل سهولة." يقصد الاختطاف"

يطأطئ الشيخ محمد رأسه مجيبا:

نعم أعلم بذلك، لم يبقى إلا يوم واحد، دعنا نقوم بما تريده.

كيف يعرف مكانه بين هذه الجدران وقد انسل إليها الظلام. ينتظر في كل دقيقة أن يسمع صوتا أو ضجيجا. أو يباغته شخصا ما يوضح له ما يحدث هنا. هناك خلف الزجاج تتراقص الأضواء. ومن حين إلى آخر تتوقف ثم تعود إلى طبيعتها. يلتفت يمينا ويسارا. مجيئا ورواحا حتى أنهكه التعب واختلطت عليه الأسئلة من دون إجابات. كلما يمر الزمن يشتد قلقه ويشد على معطفه. يمعن النظر عبر الزجاج عله يرى حركة. ثم يأخذ مكانه وسط الجدران الأربعة على كرسي قديم، يتناول بيده ولاعة انكسر جزء منها، يداعبها في الهواء مرات متتالية، ثم يتوقف للحظة كأنه سمع صوتا ما، يتقدم نحو الباب وإذا بها تندفع بقوة وينطلق الصراخ على وقع الاقدام ثم يهدأ المكان مرة اخرى، ينتشر بعض الرجال هنا وهناك خلف الباب، الكل حاملا معه قنديلا يضيء المكان، ثم يتقدم إليه رجلين بسرعة شده بإحكام على الأرض، ومن شدة الهيجان افقدوه وعيه وكبلوا يديه، فبعد أن فاق من وعيه يندهش لما يراه، يجد يديه مكبلتين بأصداف ثقيلة وفمه مغلق بشريط لاصق. يحاول مرارا التخلص من الإحكام أو يرسل كلمات. بعد أن هز جسمه بقوة يسقط أرضا ثم يتمالك

نفسه خوفا من إنهاء حياته، في هذه اللحظة يتقدم إليه الشيخ محمد وبصوت خافت:

لا تخف يا حسين، سأكلمك بلغة جديدة، تريد حماية المدينة وتسعى للجلوس على الكرسي فأنت مخطئ.

ثم ينزع عن فمه الشريط اللاصق ليتنفس الصعداء، يهم بالسؤال ويلح مرارا وتكرار:

ما الأمر، ماذا يحدث هنا؟ أرجوكم أخبروني أين أنا؟

يرد عليه وكأنه انزعج من إلحاحه:

أصمت يا حسين لماذا تبحث أين أنت؟ يجب عليك أن تنسى اسمك الحقيقي في هذا المكان.

كيف ذلك لماذا؟

يكلم نفسه:

هل يعلم الشيخ فرحات بذلك؟ يا ترى من هو المسؤول الجديد؟

ثم يحرك جسمه بقوة وهو جالس مكبل بالأصداف.

أسكت، الحرية ليست سهلة كما تتوقع، كما يبدو لك أن الصراع سينتهي يوما ما. فأنت تقف في طريقي وتسيء إلى أعمالي. الآن ستكون رهن إشارتي.

لالا أريد ذلك. أريد العودة إلى أهلي.

لا تقلق عائلتك بخير وكذلك ابنك الصغير.

ابني أرجوك لا تؤديه.

حسنا لك ذلك إن قمت بما أمليه عليك.

تمر ساعات والليل مازال في بدايته، فيقدم إليه مرة أخرى، هذه المرة يبدو عليه إنسانا متحفظ، فأما خطوط جبهته توحي بالخطر قائلا:

انظر إلى رقم باب الغرفة، إنها لك عند الانتهاء من كل عملية، بعد يومين ستنفد إحداها على بعد كيلومترات من هنا، وبالضبط بالقرب من المقبرة بالشارع الأخير.

ماذا؟ لالا لا أريد ذلك ارجوكم.

ماذا سأنفذ، ولماذا؟

حين تصل ستعرف كل شيء.

يسحب الشيخ محمد من جيبه بعض الأوراق، تبدو قديمة بعض الشيء لكن حين قام بترتيبها على الأرض بذت صورا واضحة لأشخاص. انظر لهذه الصور ألا تعرف أحدهم؟

يتمعن فيها والخوف يعصره من الداخل.

لا لا أعرف أحدهم.

توقف قليلا ثم يتمتم:

إنه العم فرحات، والصحفية فاطمة وهذه الفتاة لا اعرفها، لكن ما الذي ارتكبه هؤلاء حتى تلاحقونهم.

يصرخ الشيخ بشدة:

أفصح عما تقوله، أتريد المراوغة إن ابنك تحت رحمتنا ونحن لا نستطيع الانتظار أكثر.

أعرف هذا الرجل إنه العم فرحات، و.....

وماذا؟

والصحفية فاطمة وتلك الفتاة لا أذكر اسمها.

يرمي إليه بصورة العم فرحات ويخبئ الصور الأخرى إلى أن يحين دورهم.

هذا العم فرحات لماذا تبحثون عنه؟ إنه رجل طيب وسياسي كبير.

أصمت، أين قد نجده؟ أخبرنا بالعنوان.

يتردد قليلا فيشده من معطفه:

هيا تكلم.

إن مسكنه بجوار السوق الصغير على مقربة من المقبرة في الشارع الاخير.

يصفق له على الإجابة الصحيحة.

حسنا لقد صدقت كنت أرغب في سماعك تقول الحقيقة. والآن نحن على اتفاق أليس كذلك.

يصمت حسين مطولا، ثم يحاول طالبا منهم فك وثاقه حتى يقضي حاجته للأسف محاولاته باءت بالفشل.

يجتمع الرجال بسرعة ليستمعوا إلى التعليمات، ثم ينطلقون في هدوء وكأن لا شيء يحدث، يبتعدون و تبتعد معهم الأضواء بين منحدرات وعرة، يراقبهم قمر تداعبه سحب عابرة تارة يظهر ويختفي تارة أخرى، احمرت عيناه

من شدة الارهاق، وتعابير الخوف تحتل وجهه، بعد أن داهمته الساعات الأخيرة من الليل يكاد النوم يخطفه، ولا أحد يستطيع أن يخبره بما يجري، ترسل الشمس أشعتها فجأة ينقشع الضباب وتتحسن الرؤية قليلا، يتقدم نحو النافذة ببطيء متخفيا مع الجدار إلى أن لاحظ شخص طاعن في السن، أحدب الظهر يحمل في يده دلو يجمع فيه أشياء لا تبدوا واضحة له أكثر. وما جذب انتباهه قطرات تسقط أينما وقف للراحة، يرفع حسين يديه المكبلتين ملوحا وصارخا ليلفت انتباهه. أنت يا سيد. أنت يا سيد. من هنا ...

يراقب خطواته متجها نحو مدخل البناية، لتصل في هذه الأثناء سيارة جيب وتتعالى أصوات الشباب. شباب في مقتبل العمر مستعدون للموت من أجل عائلاتهم. يختبئ مجددا وعيناه تلاحق تلك المشاهد في الخارج. يعود أحدب الظهر نحو السيارة وينظفها ويرمي كل شيء في ذاك الدلو الذي يلازمه. أكياس متراكمة معبأة بمواد، أكياس!؟ يا ترى ماذا تحتوي؟ يقف شاب بالقرب من السيارة يهاتف الشيخ محمد:

نعم سيدي كل شيء جاهز. لقد حصلنا على أكياس حسب الطلب. سنبدأ بالتحضير الآن.

هل ذهب أحدكم إلى ذاك الشاب؟

لا سيدي لم يذهب أحد إليه. سأطلب ذلك من أحدب الظهر.

إياكم أن تفك وثاقه. إنه ذكي وأخاف أن يخدعنا.

ينادي على أحدب الظهر:

أنت تعال إلى هنا. ضع الدلو جانبا و احضر بعضا من الخبز المحمص والجبن إلى السجين الجديد، ولا تطل الحديث معه.

حسنا.

يمد أحدب الظهر خطواته ببطء فيصيح الشاب متهكما:

أسرع قليلا.

يحمل الشباب تلك الأكياس متجهين إلى كوخ صغير، تتساقط منها حبات صغيرة الحجم سوداء اللون، فيندهش من المنظر وراح يفكر فيما سيحدث:

إنه بارود، ولكن لماذا؟ ربما يحضرون شيئا ما.

تفتح الباب من دون سابق إنذار، ويضع أحدب الظهر صحنا صغيرا على الأرض به الخبز المحمص والجبن المعلب. تم يهم بالمغادرة في صمت ثقيل، وقبل أن يغلق الباب يقاطعه الشاب:

أنت. أيمكنك مساعدتي؟

يرفع رأسه ثم يسأله:

كيف اسمك؟

وما يهمكم في اسمي؟ انا حسين.

يا حسين، إن هذا اليوم تكرر في حياتي عدة مرات، وقابلت أشخاص مثلك فلن ينج أحد من هذا المكان.

كيف ذلك -.

دعني اذهب لقد أطلت الوقوف معك وأخاف أن يحدث لي أكثر مما ترى.

ماذا حدث لك؟

يتنهد بحسرة ثم يستدير ويواصل:

أترى هذه الحدبة، لم تكن موجودة لقد كنت رجلا قويا أكثر منك، كان همي حماية المدينة وإعادة الأمن لها، لكن تمزقت أحلامي في ثنايا هذه البناية، فلا تدرك حجم المسؤولية التي تركتها ورائي رغما عني، وقبلت بالتعذيب المستمر حتى كسروا أضلاعي. وأنا في هذه الحالة لا أغادر هذا المبنى.

من هم هؤلاء الرجال؟

لا يهم. ولكن أنا في خدمتك.

توقف. لقد رأيتهم يحملون أكياسا.

كل مشهد تراه هنا لا تتذكره إطلاقا، وإن تفوهت بكلمات أخرى ستسبب لك مشاكل خطيرة.

يسرع الأحدب نازلا أدراج البناية حتى يتسنى له مراقبة كل حركة، فيما تتوزع غرف أخرى في الطابق الأرضي، تضم أشخاصا خارت قواهم فلا تسمع لهم أنين أو صراخ، يمر على كل غرفة حيث يراهم قابعين في زواياها، من حين إلى آخر يتنهد ثم يقترب منها ليسحب بقايا الطعام تراكمت عند كل مدخل، وفجأة يستيقظ عجوز كثيف الشعر كان قد رحل بتفكيره بعيدا يبحث عن مخرج، كل مرة يقترب من الباب ليتحسس الرقم الذي وضع عليه إنه رقم 01

ينادي عليه أحدب الظهر:

انت يا سيد.

كيف يمكنني مساعدتك؟

أحتاج شربة الماء أرجوك.

الساعة تشير إلى منتصف النهار، هدوء يعكره وصول الشيخ محمد ورجاله، فهرع الأحدب إلى الخارج أين يمكن مواصلة عمله. يرمي تلك البقايا عند المنحدر في الطرف الآخر حيث تنبعث منه روائح كريهة. لقد ألف هذا المكان الذي يضم ضحاياه يوما بعد يوم، تم يعود ثانية في هدوء إلى أن صار بالقرب من باب الغرفة، يسترق السمع من الشيخ محمد هو يصرخ في وجه حسين:

يجب عليك أن تغير ملابسك حتى لا ينكشف أمرك. لم يبقى لك إلا يوما واحدا، ثم يفتح الحقيبة التي أحضرها معه. تحتوي على معدات صغيرة من بينها مسدس وبعض السكاكين.

أنظر سترتدي هذا الزي. واختر أي سلاح تريده، بل ستحمل معك مسدسا وأجعله كاتم للصوت، وإليك بعض الطلقات فمهمتك سهلة وسريعة.

ماذا؟ لم أحمل مسدسا إطلاقا، ولا أعرف استعماله.

كل شيء سيكون سهلا، ما عليك إلا الضغط على الزناد في صمت ثم تخرج كأن لا شيء يحدث.

أخرج من أين؟

يا إلهي، كم أنت مثير للشفقة وتثرثر كثيرا، هيا أصمت ونفد ما أطلبه منك. ستجد كل شيء عند الشباب الذين سترافقهم. لتنفيذ مهمتك الأولى.

لا لا مستحيل. هذا أمر مستحيل.

يترك كل شيء على الأرض ويرمي بين أحضانه الخيار، إما التنفيذ أو حياة ابنه، ويهم بالخروج وقبل أن يفتح الباب يختفي أحدب الظهر في ذلك الرواق المظلم حتى لا يراه أحد، بعد الزوال تصل أربع سيارات فخمة لا يظهر ركابها، وتتوقف خلف المدخل الرئيسي، ينزل منها أصحابها بسرعة وفي لمح البصر يصطفوا صفا واحدا، ها هو صاحب اللحية الطويلة ينزل متجها نحو الكوخ، ليقابل الشيخ محمد ورجاله. مرحبين به ومن دون أسئلة يجيب أحدهم: كل التعليمات قيد تنفيذ، سيكون كل شيء جاهز عند منتصف هذا اليوم.

يبتسم صاحب اللحية الطويلة ثم يمسك بكيس ويفرك بين يديه حبات البارود:

هذا ما أسعى إليه ولا أريد لأحد أن يعكر صفوتي، سأمنح كل ثروتي من أجلكم ومن أجل تتوسع مجموعتنا.

كيف هم الشباب المنظم إلينا؟

بخير، لدينا شباب آخرون مستعدون لتنفيذ عمليات الاغتيال في مناطق متفرقة

ممتاز.

وبدون إطالة يحضر أحد الشباب حقيبة المال ليقدمها إلى الشيخ محمد: تفضل سيدي، هذه الأموال نتيجة بيع مجموعة من المعدات وجمع أموال من مختلف المناطق بالمدينة، فقد كان بيعها سهلا وجيدا وإننا نحتاج لكمية أخرى، الوضع في المدينة في فوضى، ويجب تسليمها قبل منتصف الليل.

عند المغيب تتوقف الحركة وتضاء إنارة خافتة، يستلقي حسين على الأرض مفرشا بقايا أوراق الكرتون المرمية جانبا، ويضم الحقيبة إلى صدره، كان الجو باردا يختلط ببعض نسمات تهب عبر الزجاج المنكسر، فأخرج ذلك الزي

ولبسه ومن كثرة التفكير يغوص في نومه فتارة يستدير يمينا وتارة يسارا، ليرى في حلمه أن ابنه ينادي عليه، ويمد له يده من بعيد لكن لا يستطيع الإمساك بها، فينهض مفجوعا باحثا عن ابنه حوله، يليها صوت الباب وهو يفتح:

من أنت؟

يرد عليه أحدب الظهر:

عذرا. لقد أزعجتك.

لا عليك. لقد رأيت كابوسا، كأني رأيت ابني يموت بسببي، ماذا أفعل؟

هون عليك، إنه مجرد كابوس فالكوابيس لا تفارقنا، يا ليتني مت قبل هذا.

ما جاء بك في هذا الوقت؟

فكرت في مساعدتك وأياك أن تقل شيئا عني.

أتعلم؟ لم يبقى لي إلا يوما واحدا لتنفيذ العملية.

وأي عملية؟ لم أفهم شيئا.

ستقوم بعملية اغتيال للمسؤول الأول الذي قد استقالته في السنوات الماضية.

من هو؟ تكلم.

الشيخ فرحات.

ماذا؟ الشيخ فرحات هذا غير ممكن.

لا تقلق سأساعدك على الفرارفثق بي، تناول طعامك وسنتحدث في الصباح، أنا السيد موسى.

لم يستطع موسى أن يتمالك نفسه، ففي أعقاب الليل اضطر إلى حمل الدلو والسير مباشرة نحو الكوخ دون خوف، يرمي ببصره عبر ثقب الباب لأزيد من ساعة مهتما بما يجري في الداخل، ثم يعود إلى غرفته ليفتش فيما يجمعه من بقايا، يحمل بيده عصا حديدية و بالأخرى مفك البراغي لتكسير قفل الباب، فجأة يزول الهدوء ليسمع شجارا بين هؤلاء الشباب، ينهي أحدهم حياة الاخر بطلقات رصاص تم يهدأ الوضع، يسرع نحو الكوخ ليساعدهم في حمل الجثة و رميها، و في غفلة منهم يخبئ بجيبه قنابل يدوية الصنع و قبل دقائق عن فجر يوم التنفيذ، يحمل كيسا أسودا ويجتاز الغرف بهدوء إلى أن وصل إلى غرفة السيد حسين.

يفتح الباب بهدوء ثم يهمس ملوحا بيده وعيناه تراقب المكان:

حسين. حسين. هيا اتبعني ليس لدينا الوقت.

ينهض حسين مهرولا تاركا كل شيء وراءه، ظنا منه أنه استطاع النجاة، فهده فرصته الوحيدة مهما كلفته حياته، لقد استطاع موسى أن يعيد القليل من بريق الأمل إلى وجهه، لكن أمامه عقبة يريد اجتيازها أمام الكوخ، فمن حين إلى آخر يخرج شاب يتفقد الأوضاع. وفجأة ليس بعيدا عن المدخل الرئيسي، تتوقف سيارة بيضاء اللون يشعل سائقها الأضواء الأمامية لينبه الشباب. يمكث موسى وحسين مكانهما والقلوب تتراقص بين العودة إلى الغرفة أو الانتظار قليلا، تمر ساعات وشمس ترمي بأشعتها بقوة لتضيء المكان، تضيع الفرصة ليعود حسين إلى غرفته بينما يحمل موسى كيسه الأسود ويخبأه بين بعض البقايا في أسفل صخرة.

في تلك الليلة تصل الأخبار إلى مسامع الشاب عبد الله، أن الشرطة مازالت تبحث عنه، وأن أخته قد أفرج عنها وهي الآن تمكث بالمستشفى، فاختلطت عليه المتاهات، وجرفه الانتقام في خطوة خطيرة منه، الساعة تشير إلى الثانية صباحا، يلتقي في منعطف الغابة الكثيفة شباب يحملون صناديق مختلفة، وينطلقون نحو وجهة غير معروفة كأنه كان على اتفاق معهم، وفي طريقهم

يجلس بجانب نافذة السيارة يسترجع بعض الآلام، ويسترسل في تأنيب ضميره لكن فات الآوان، ثم يحاول تهدئة نفسه:

لسوف أعود يا أختي، سأحي من أجلك.

وعند وصولهم إلى المدخل الرئيسي للبناية المهجورة، ينزل الشباب في لهفة، وتتعالى أصواتهم بين هزيج وعناق في حين بقي عبد الله ساكنا يراقب.

مرحبا بإخواننا. انضموا تعالوا، لكن من هذا الشاب الجديد بيننا.

في تواضع يوجه عبد الله نظره نحو الشباب، وبلغة هادئة يفصح عن اسمه:

أنا اسمي عبد الله ومستعد للانضمام إليكم، لقد نجوت من محاكمة طويلة.

لا أحد يفهم كلامه:

انتبه لكلامك. توقف عن التعريف باسمك.

لماذا؟ هل قلت شيئا خاطئا؟

نعم. نحن الشباب نملك أسماء ولكن الكل هنا لديه أسماء أخرى، فأياك أن تذكر اسمك أمام أحدهم. لا تكن متهورا.... افهمت؟

وكيف سيتم تغيير اسمي؟

نحن لا نغير الأسماء بل لا نتفوه بها أمام الغرباء.

هيا أسرعوا، ليذهب أحدكم ويحضر الصناديق ولكن بحذر شديد، وأنتم راقبوا المكان من كل الاتجاهات.

يرمي إليه بملابس ليرتديها، فلا مجال لتأخر عن توقيت العمليات، يسرع إلى شحن مجموعة من الصناديق للخروج بها نحو وجهتها، يتريث عبد الله قليلا ويسرح بتفكيره نحو تلك الكلمات التي كتبها لأخته، فيضيق صدره وتتغلغل أفكارا جديدة بذهنه، وتضيع عيناه متأملا تلك البناية المهجورة.

ينهي المحادثة القصيرة بينه وبين أفكاره، ويفتح لنفسه مجالا واسعا، ويحضرها لردّة فعل قد تسيطر عليه، وأمام هذه الأوضاع لا يمكنه فعل أي شيء ليحمي نفسه، هكذا هي البدايات فيعود بعدها إلى وسط التحضيرات، لم تكن مجرد تحضيرات يعتقد أنها ستنتهي في غضون أيام، لكنه يسقط وسط عصابة لا تترك أي خطأ وراءها إلا وقامت بالتخلص منه، وفي أجواء من الحماس المفعم بالخوف، ينبض قلبه متسارعا وقدماه من حين لآخر تتسمر في مكانها، يكلمه شاب وسيم ذو العقد الثاني من العمر.

ما جاء بك إلى هنا؟

أليس لديك خيار آخر؟

يرد عليه والهتافات تتعالى حوله:

ليس لدي اختيار آخر ولا جدوى من معرفة الأسباب. حين تظلم لا يبقى لك شيء سوى تغيير المكان وأنا قد أخطأت المكان.

إن هذه الجماعة يهابها من يسمع باسمها ولا أحد يخرج منها حين ينظم إليها، كل أعمالها سرية لكن بالمقابل تحلى بالصبر فقط ستتعود على الأمر، حسنا هيا إنه ينادي.

سؤال أخير من يكون هذا الضخم.

إنه من أحد رجال رئيس الجماعة المكلف بمثل هذه العمليات، ذكي وسريع البديهة.

ينتهي الكل من ترتيب الصناديق ويجلسون بالقرب منها، في حين جلس عبد الله بينهم مطأطأ الرأس، يتحسر على قرارته الخطيرة وهو يفكر في أي طريق ستسلكه الجماعة، تغيب السيارة عن الأنظار ويهدأ المكان، فلا تسمع إلا أنين من تعبوا وحديت خفيف لمن يرغب في الحرية، بقي حسين حبيس غرفته

يراقب أي شيء قد يحدث في الخارج إلى أن داهمه النعاس، وتوقفت الحركة عند بزوغ الفجر.

لم يكن حسين يشعر بالطمأنينة مما ينتظره هذا الصباح، يقلب جانبيه لتراوده نفس الأحلام حين يرى ابنه، إنه الشوق إليه يزداد يوما بعد يوم، والغربة تقتله في هذه البناية التي لا يعرف أين موقعها، وليتمكن من التخلص مما يجري من حوله، ما عليه إلا البحث عن طريقة أخرى للهرب، أو الرضوخ لكل رغبات هؤلاء الرجال، الذين يسعون إلى زيادة الفتن من قتل واغتيال، كل هذه الأمور تطال أناس أبرياء وسط المدينة، وما يحز في نفسه هو الشعور بالذنب جراء ما يقدم عليه.

تمد الشمس أطرافها وتمر عبر الزجاج كمر ظل لا يحس به النائم، وفي قلق ينهض باحثا عن جرعة ماء لما أصابه من جفاف بالفم، لا أحد سيسمعه إذا نادى عليهم، وما يدور في رأسه من أقوال:

لن تتكرر مثل هذه التضحيات من أجل عمل شرير، ومن أجل أشخاص لا يليق بهم إنسانية في هذا الزمن.

توقف قليلا وأخد يتمعن ماسحا عن الزجاج بعض بقايا الرداد الذي خلفته الليلة الباردة، فيلاحظ من الوهلة الأولى صاحب اللحية الطويلة ينزل من شاحنة رباعية الدفع، يرافقه اربعة أشخاص يحمل كل واحد منهم معدات ثقيلة، كما تظهر عليها علامات حمراء تشبه متفجرات، يتحرك الاربعة بحذر خوفا من حدوث أي خطأ يودي بحياة الجميع، يهيج الرجل بصوت عالي:

أحضروا الشاب حسين. هيا أسرعوا.

يرجع حسين إلى الخلف بعيدا عن النافذة، يخفق قلبه بشدة وهو يسابق الزمن الذي يسحبه إلى تنفيذ المهمة، ثم يتمالك نفسه، يفتح أحد رجال العصابة الباب قائلا:

حسين أرجوك أن تلتزم الهدوء. وألا تقوم بأي حركة نضطر فيها إلى استعمال العنف.

يقاطعه ويداه ترتعشان:

ألا تفك عني هذه الأصداف الثقيلة لقد أزعجتني؟

ليس من الضروري وما عليك إلا أن تلتزم الهدوء اتفقنا، وأسرع قليلا إن السيد رضوان يقصد صاحب اللحية الطويلة في انتظارك.

كرر مادا قلت؟ رضوان أهذا هو اسمه

تبا لك. دعك من هذا فلتسرع.

لا أحد يريد أن يؤكد له ما اسمه، بين صمت وتيه ينزل الأدراج والكل محيط به، تارة يدفعونه بقوة وتارة أخرى يتوقف متعمدا، يترنح بجسمه الثقيل ليستغل القليل من الوقت، لكن كل شيء سيئ عدا أنه مازال حيا، ها هو يقف أمام حطام جدار مباشرة صوب المخرج الرئيسي، ليقترب منه رضوان رويدا رويدا حتى صار أمامه، يحمل تعابير وجه متفتحة كوردة تستنشق عطر الصباح.

مرحبا يا حسين لابد أنك تفكر في طريقة الخروج من هنا؟ أو ربما تستذكر اسمي أين سمعته؟

يحرك شفاهه ببضع كلمات: رضوان....رضوان.....رضوان

ما الأمر لماذا أنت صامت؟

ثم يدفعه بدوره ويأمر الجميع بالاستعداد للمغادرة.

أثناء تلك الحركة التي تعم المكان، يجثو حسين على ركبتيه ويبدأ في الصراخ من دون انقطاع، فيلتفت إليه السيد رضوان غاضبا ويرميه أرضا ثم يصيح قائلا:

هيا انهض، الوقت ليس في صالحك ألا تريد ابنك وعائلتك؟

يهدأ حسين قليلا والرغبة في القض على عنق رضوان تزداد كلما تمر دقيقة، ثم يتبعه الجميع نحو سياراتهم.

تمر ساعات على ركوب السيارة، وأثناء ذلك دارت في ذهنه مجموعة من الأفكار، تتجادل فيما بينها وترمي بكل واحدة على الطرف الآخر من حياته، فغفت عيناه من شدة التعب ولفّها الحزن الشديد، مال رأسه ببطء تجاه الشاب الجالس بجانبه، فدفعه على غفلة ليتفاجأ بالمكان الذي هو فيه، إنه مكان معروف بالنسبة إليه فتتوسع حدقة عينيه وهي تتجول من نقطة إلى أخرى، ومن شخص إلى آخر حتى كاد يشك فيه المارة ويكشف أمره، يتفطن له السيد رضوان بنظراته الغاضبة وجهته المقطبة التي تلمع مع أشعة الشمس، ثم حدثه بلطف:

تمهل قليلا لا تحرج نفسك أمام الناس، فإن شك أحد فيما تنوى فعله لن ترى ابنك ثانية، لن أقول كلمة أخرى فكل شيء يعلمه هؤلاء الشباب.

لكن كيف ذلك؟

لا تسأل كثيرا هذا ليس لغزا، نحن ذاهبون هؤلاء الشباب هم الثلاثة الذين سيساعدونك على فهم العملية. ومن هو الشخص المقصود.

انصرف رضوان ومن معه، وترك حسين يتقلب بين أمواج الرفض وكشف أمره أمام الناس وبين تنفيذ العملية من أجل حياة ابنه، هذه الفكرة الأخيرة هي الأجدر بها فلا شيء هيّن من دون التضحية.

أخرج الشاب الذي يتوسط الثلاثة صورة قديمة، هي الصورة نفسها التي رآها منذ أيام. فقاطعه متسائلا:

إنه العم فرحات لا يمكن له أن يموت.

أسكت دعني أكمل.

أخذ يشرح له المهمة بكل تفاصيلها الخطيرة، ثم قاطعه حسين مرة أخرى كأنه يرفض القيام بها، وتردد قليلا في الإفصاح عما يختلجه من خطة تبدو

غير واضحة لهم، فهو يحاول التحايل والمراوغة من أجل الحصول على منفذ جديد وسط هؤلاء الشباب، إنه يتكلم كالقسّ ويلقي عليهم مواعظ علها تفي بالغرض، لكن قلوبهم قد سارت في طريق لن تتجلى إلا خلف الموت إذا أخطأ أحدهم.

يتهكم عليه أحدهم ومن غير لباقة يقاطعه:

توقف دعنا من ترهاتك، نحن هنا من أجل تطبيق التعليمات وليس لك الحق في تغييرها وإذا لم تقم بذلك فنهايتك وشيكة، من الأحسن لك أن تسمع لما نقوله.

هيا اتبعنا إلى الطاولة.

يتكلم شاب آخر ذو علامة على خده الأيسر في قلق:

لقد أطلنا الانتظار كثيرا، أنظر الوقت يمر بسرعة ربما لن نفلح في هذه العملية، إن السيد رضوان لن يرضى علينا. قاطعه حسين:

أعد ما قلت رضوان....

نعم، السيد رضوان وما حاجاتك إلى هذا الاسم.

في الحقيقة، أنا لا أكترث للأسماء ولكن هذا الاسم رسخ في ذاكرتي، عندما كنت أعمل لدى العم فرحات قدم إلى شخص يدعى رضوان وأعتقد أنه نفسه، وقبل أيام من تلك الحادثة اتصل بي شخص يحمل نفس الاسم كذلك.

يزداد الضغط الرهيب على عاتقه، يتبعه قلب يودّ لو يبرح مكانه من شدة الخفقان، حالة نفسية لم يعشها حسين من قبل، والأدرينالين في العروق يرتفع مع ارتفاع درجة حرارة الطقس، يتنهد رغبة منه في تعديل الوضع، فيسبقه في ذلك أمر التنفيذ السريع، ليقف من مكانه بزيه الجديد فلا تظهر عليه ملامح التعصب، ثم يخطو إلى الأمام خطوات ابتعدت المسافات بين الأرجل، إلى أن وصل إلى باب المنزل المشيّد على مساحة صغيرة، لم ينتبه لنفسه من حين إلى آخر يستدير إلى الوراء، إنها لحظة جنونية وخطيرة، يطرق الباب فيستقبله العم فرحات مبتسما، و يدعوه إلى الجلوس في الصالة التي توزعت على أطرافها كتب ومذياع ينقل الاحداث، يتيه حسين وقد تعرق جبينه في غفلة منه، ينتبه إليه العم ليسأله:

ما الأمر يا حسين؟ تبدو شاحب الوجه.

يقدم له كأس ماء ليبلل به فمه، كل شيء يسير عاديا، ثم يسترسلان في الحديث مرة أخرى، تارة ابتسامة وتارة هدوء الذي يسبق العاصفة، ينهض العم من مكانه متجها نحو النافذة كأنه يعلم ما جاء له حسين، أو يحضر نفسه لمهمته جيدا ثم قال:

نفذ ما جئت إليه يا حسين، لا تخف نحن لا نأبه الموت يا بني.

يتصلب جسمه وتتسع حدقة عينيه كأن الأرض انشقت وابتلعته، ثم يرد عليه:

كلنا في خطر، انا وانت وابني.

ثم يضع السلاح على الطاولة. لكن العم فرحات يكرر مرة ثانية:

نفذ يا حسين وأنقذ عائلتك.

يقترب ببطيء وأصبعه ترتجف فوق الزناد، وقبل أن تنطلق الرصاصة من مكانها، تذكر اسم رضوان ومتى كان أول لقاء معه، كما تذكر صوت المتصل حين دعاه يومها إلى ترك العمل مع فرحات، هنا تكمن العلاقة بينهما وما تريده العصابة من الانتقام، ربما هي تصفية جسدية لكل من عرقل عملها، يصيبه في عنقه مباشرة فيسقط والدماء ترحل على صدره، يستيقظ من غفلته باكيا متحسرا على ما فعلت يداه، و يتيقن أن العم فرحات فارق

الحياة، يقاوم حسين الفجوة التي سقط فيها، وفي ارتباك يتلعثم خوفا من انتشار الخبر، ثم يبتعد عن جثة العم فرحات قليلا، ماسحا بيديه على جانبيه ثم يحمل مسدسه بسرعة ملتفتا ذات اليمين وذات الشمال ويهم بالخروج، وينطلق راكضا كمن فقد عقله، يمسكه أحد الشباب الثلاثة مهدئا إياه ثم يصعدون بسرعة إلى الشاحنة، ينكمش حسين على نفسه، ماكثا في مكانه كتمثال اختلطت عليه النهايات المفجعة.

في لمح البصر استطاعت رصاصة واحدة أن تنهي حياة الشيخ فرحات، ويبقى ذلك الصوت الممزوج برائحة الاستشهاد لا يفارق مسمع السيد حسين، كطير يحمل بين منقاره بقايا عشه ويرحل، يسحبه الرجال إلى خلف الشاحنة ويدفعونه للصعود، فيصرخ أحدهم بغيض شديد:

هيا أصعد الوقت يداهمنا، ستصل الشرطة في أي لحظة.

ثم يقاطعه آخر متكلما بسرعة:

ضع سلاحه في الحقيبة وارمها داخل الشاحنة، هيا أسرعوا أسرعوا. تبعثرت نوايا السيد حسين وهو يجلس بهدوء، كمن يصعد بجرعة مخدر غير واع لما يحدث من حوله، الكل يريد أن يختصر المسافة للوصول إلى البناية

المهجورة حيث يتم ترتيب المهام، وعلى مسافة قصيرة يقفز السيد حسين هاربا نحو الغابة الكثيفة، فيلحق به الرجال في فوضى عارمة وصراخ يشتدّ بين الحين والآخر، تمر دقائق معدودة يهدأ فيها الجميع وتتوقف الشاحنة في المرآب القديم.

تختلف المهام في كل زاوية من تلك البناية، وتتحاشر الأقدام في مساحات صغيرة، ليعانق الانتظار أجسادا واهنة، ففي كل مرة يجلس فيها السيد موسى، يسرق من نبضات قلبه رغبة الفرار أو الانتحار، يتوقف لحظة ومن خلف الباب يراقب حركات السيد حسين، وهو يمد خطوات ثقيلة ترفض الاستسلام متجها نحو غرفته.

لم يفهم الشاب عبد الله ما يجري في ساحة البناية، فأخذه الفضول إلى مراقبة الوضع عن كثب لكنه تفاجئ وكاد يغمى عليه، رؤوس متكدسة على جانب المدخل، ومساحات مسودة بدماء متخثرة، يعود إلى الوراء بهدوء ويجلس على ألواح خشبية، ثم يستدير يمينا فيلمح أحدب الظهر متجها نحو الأدراج فيسرع نحوه ليسأله:

مرحبا أنا الشاب عبد الله وأنت من تكون؟

أنا، لا أريد أن أتذكر.

لماذا؟ ما الأمر؟ هيا تحدث لا تخف.

كان حلمي حماية المدينة من أمثال هذه الجماعة، إنها خيانة كبيرة لصداقة لم تدم طويلا.

كيف ذلك؟

لا أريد أن أتكلم كثيرا، ماذا تريد مني؟

أريد أن أخرج من هنا فقد رأيت ما لم أتحمله، كان اختياري خاطئ حين قررت الانتقام، وهذا المكان أبشع مكان رأيته.

لا تقلق ستتعود عليه، ثم يمد خطواته نحو غرفة السيد حسين، يتبعه عبد الله في حديث مطول. ثم يتوقف موسى ليطلب منه الانتظار هنا.

فجأة يجتمع كل الشباب في فوضى، وتتطاير الكلمات تارة مفهومة وتارة تختلط بالصراخ. فيعود الشاب عبد الله لتقصى الخبر بينما يغتنم موسى فرصة الحديث مع حسين.

هوّن عليك يا حسين إنك متعب وتحتاج إلى راحة، فلابد منك أن تجمع قوتك لنغادر هذا المكان في أي وقت.

إني أسمع صراخ ماذا يحدث في الأسفل؟

لا أدري، هيا اتبعني لنرى ما الأمر.

أترى؟ مجموعة من الشباب يحملون الشيخ محمد يبدو مصابا أو مريضا.

اقترب كثيرا يا موسى وتحقق من صحته.

يلتقي الثلاثة معا: السيد موسى، السيد حسين والشاب عبد الله والكل يحدق في الآخر لينطق أخيرا السيد موسى:

اتبعاني في هذا الاتجاه سيكون المكان خال.

يقترح عليهما السيد حسين متابعة السير نحو مكتبه من أجل التفتيش على طريق توصلهم إلى الصحفية فاطمة، الشمس تخفي خيوطها خلف الأفق، والأماكن الحساسة تعج بالشرطة بزيها الرسمي والمدني، فالتاريخ لن يعيد نفسه في حين خفت القيود في الشوارع، يتذكر حسين المذكرة التي أهداها له الشيخ فرحات، ويقلب بين صفحاتها بحثا عن مقالات يجب أن تنشر، فيستقر

على بعضها كما يسجل رقم الصحفية، ثم يطلب من الشاب عبد الله الجلوس وأخذ قسط من الراحة:

أجلس واسترح، لا تستسلم يا عبد الله سنجد المستشفى وتلتقي بأختك.

يشد قلبه حزن شديد ورغبة قوية لرؤية أخته، أما السيد موسى فقد التزم الصمت.

السيد حسين: سأتصل بفاطمة لإنهاء بعض المهام.

ألو الصحفية فاطمة؟

نعم من معي؟

أنا السيد حسين.

ماذا، السيد حسين؟ ظننت أنك لن تعود أين كنت كل هذه المدة؟ ألم تعلم أن السيد فرحات قد مات؟

نعم، ولهذا أنا أتصل بك لأقدم لك مجموعة من المقالات تركها لي الشيخ فرحات، وهناك موضوع آخر سنتحدث فيه يجب أن نلتقي.

أي موضوع؟

دعنا نلتقي أولا. سأنتظرك غدا صباحا بمكتبي.

يجلس السيد رضوان بجانب الشيخ فرحات ثم يقدم له كأس ماء:

ستكون بخير، أتعلم لقد انتهى الفراغ بتعيين ممثل عن وحدة المدينة، وخفت حدة التوتر فيها، بينما قلّت أعداد الشرطة المنتشرة بين شوارعها.

يصمت الشيخ محمد طيلة الحديث كأنه مجبر على السكوت، فيما يفكر رضوان بعدم المغامرة والنزول إلى المدينة مرة أخرى.

يتعاطى السيد حسين نشوة الحرية التي يمزجها في كلامه، ويصعد بها أمام الجميع كمن يؤلف سمفونية متأكدا أنه على حق، كما تسجل الصحفية ما يهمها، ثم تقترب من الشاب عبد الله وتؤكد له أن أخته بخير، بعدها تقدم له بطاقة معلومات خاصة بالمستشفى، يختار حسين أحد المواضيع المنتشرة مؤخرا حول تعيين الممثل عن وحدة المدينة قائلا:

كيف مرت الأوضاع عند تعيين هذا الممثل الجديد؟

لقد رأى المواطنون أنه قادر على استرجاع الأمن، لم تكن هناك معارضة واسعة، فكل شيء مر بخير.

يقاطعهما الشاب عبد الله بسرعة:

أود الذهاب إلى المستشفى، ليس هناك وقت كاف للانتظار.

تطلب منه الصحفية فاطمة التريث قليلا قائلة:

سأرافقك إلى المستشفى،

يجلس حسين يحدق في تلك المذكرة والصوّر المعلقة على الجدران. ثم يتمتم بين شفاهه:

نزيف على أكتاف ناعمة.

يهدأ بال المدينة فيعانق هدوءها تلك التوصيات التي تنشر عبر صفحات الجرائد، يقرّها الممثل الجديد عن رعيته بخلاف الذين مروا عبر تلك السنوات، يريد في كل مناسبة تقليم أغصان الصراع الذي يحاول التطاول على بقايا الرغبات، وبكل جدية يتقدم نحو الضوء الجديد الذي يشع بين أنقاض ما بقي من المدينة، فتتراقص خصلات شاربيه حين يوزع ابتسامات تمتزج بهتافات الحاضرين، وتتصافح الأيادي بين مواطني المدينة وتتسامح قلوب العائدين من الجبال، لتكبر الرغبات في الطريق الصحيح وتختبأ الذكريات في صور العاجزين والمعطوبين.

نبيل مواجي

نـزيف علـى أكتاف ناعمة

مدينـة معلقـة كعـملة بوجهيـن مختلفيـن، يغازلهـا صـراع توهـج فـي عقـول المتنافسيـن، لكـن لـم يستطع أحـد حـمايتهـا، مدينة تعلقـت بكرسـي حديـدي عـاد مـن فـراغ، فانصبـت كل الكتابـات الرافضـة تطـارد العابثيـن بها، تعب خـادم المدينـة وتنهد مبتعـدا تـاركا إياها تقـاوم مرة أخرى وتوسع الحيـز بيـن الإثنين فانظـم الثالـث إليهـما، يقـدم الإعتـذا ر ثـم يفـو ز فيجلـس بوقـا ر يحسـد عليـه، يقتطع المواطنـون تأشيـرة الخـروج للـبحـث عـن الأمـان، فتجـر الأبـدان وتحبـس الأنفـاس، لـم يستمـر النـزال ليصطـدم الجالـس بقيـود، تريـد إقناعـة بالمزايـدة للمصلحـة فيتمهـل، يستفيـق علـى خطـى الراغبيـن فـي وجـه البـد ر ليجعـل البعيـد المشتـاق قريـب، ويهـدأ بـال المدينـة وتجـد من يكتب الضمـانة فـي وجه المتقابلين.

تصميم الغلاف: نبيل مواجي

9 789931 288664

فهرنهايت 451
للنشر والترجمة

فهرنهـايـت للنشـر والترجمـة
وسط مدينـة الجلفة - الجزائر
EDITION.FAHRENHEIT451@GMAIL.COM
+213 778 12 20 39